عنِّي
الكاتبة: د. رانيا صلاح العريني
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 21299 / 2019
الترقيم الدولي: 3 - 071 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع :**Facebook Page**
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / **49351**

عَنِّي

الكاتبة

د. رانيا صلاح العُريني

دار الزيات للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

عنِّي..

اخترته اسمًا؛ لعدم إيماني بالفراسة كليًّا والتي تقتضي من بعض الغُلاة الواثقين أن يعطوا بالًا لأوهامهم الكاذبة وفراستهم الطامحة لتحكم على قولٍ -**لحمتِه وسُداه**- بالخطأ، وإنما آمنتُ -**في جليَّة الأمر**- مؤخرًا بهذا ما يُسمَّى:"**تقدير وإنصاف الذات والاعتداد بها**"، فهذه رحلةٌ قصيرة مكوّنة من عدة مشاهد غالبُها واقعيّ وباقيها كُتبَ هروبًا من الواقع، وفي كلتا الحالتين "**أنا وذاتي**" نتجلّى بكل ما فينا من تضارب وتصارع حيالَ مواقف الحياة.. ففي مسيرة هذه الرحلة سنقف مرارًا بعد كل تجربة حياة وثَّقها قلمي.. لنحيا معًا تجربة أخرى، نشعر من بعيد وكأن كاتبًا آخر يشترك معي في السَّرد ولكنه أنا، ونشعر في كلِّ سطر وكأنني أنتم.. وكأن تجاربي هي تجاربكم، ولا يهمُّ آنذاك إن كنا نتفق عمرًا، حالةً اجتماعية، وتقديرًا علميًّا أم لا.. وإنما نتَّفق جميعُنا في وجود قلبٍ أيسرنا، يحمل من الإحساس ما يُضمَر، وهناك من يرويه بصوته العذب، أو بريشته المرنة، أو بصورة يلتقطها للمشهد، أو كتابةً، وجميعنا نلتفت حتمًا لمن يصف ما بداخلنا ويؤنس ظلام وحدتنا.

ولإيماني بأن الكاتب هو الشاعر والراوي والناثر وليس العكس، ففي هذا الكتاب.. ستجدونني -**بإذن الله**- كاتبةً وتتجولون معي في رحاب الشعر والمشاهد والنصوص النثرية الرابطة بين أحداث الرحلة وهذه كلها هي محطات الرحلة، التي اخترتم أن تحيوا تفاصيلها معي.

ولسؤال قد يكون دار ببالِ بعضكم، من أنتِ لتقولين:"**عنِّي**"، أجيب: أنا في سطور هذا الكتاب، أنا همزاته وفواصله، مشاهده وتجاربه، وفي "**الكتاب**" الكثير **عنِّي**..

وكي لا أطيل عليكم.. فأنا صديق جديد، اختار قبل أن ينبعث بقوةٍ أن يكون قد مهَّد طريقه الفنِّي، وعرَّف بنفسه مع وضع بصمة مؤثرة.

فَحوى هذا الكتاب أن يرضي جدًّا حالتك السيئة كقارئ يحتاج لوصفة علاج تشمل كبسولات ونعتبرها الشعر، أقراصًا ونعتبرها المشاهد، وشرابًا ونعتبره ما كتب بالعامية المصرية، فتخرج بمزاج لغويٍّ، نفسيٍّ وخياليٍّ يحافظ عليه وعيُك لكل ما تقرأ، وإدراكك لكل معنى وإكمالك لقراءة الكتاب كاملًا..

هذا عن طفولتي، عن صداقاتي البائسة، عن قصة حبي المعقدة، عن أهلي الذين خسرت منهم الكثير وبقي لي من صَدَق منهم محبة وإعانة،

عن مواهبي التي تسببت في إيذائي، عن كلية الصيدلة التي تسببت في نقطة تحولي الأولى، عن خذلاني وقوتي، بكائي وضحكتي، هذا الكتاب: **عنّي**.

فإن أصبتُ فلا عجب ولا غرر
وإن نقصتُ فإن الناس ما كملوا

والكامل الله في ذاتٍ وفي صفةٍ
وناقصُ الذاتِ لم يكمل له عملُ

الإمام الشافعي.

❋ ❋ ❋

إهداء

لأمي، صديقتي المقربة والوفية والأبقى على الإطلاق.

لأبي، جمهوري الأول منذ صغري.

لإخوتي الصغار، أحبابي وأطفالي.

ولحبي الذي أرغب في الوصول إليه حلالًا.. وأنتظر إرادة الله وتدبيره.

لعائلتي الكريمة والجميلة.

لصديقاتي الباقيات، إلى الآن ولم يذهبن كغيرهن.

ولصديقاتي اللواتي ذهبن كغيرهن، ولغيرهن.

لأساتذتي الأفاضل رجالًا ونساء في جميع مراحل تعليمي.

ولكل من ساندني وآمن بي، ولكل من أراد إيذائي وأراد الشماتة كثيرًا، ولكل من أساء فهمي والحكم عليَّ.

❋ ❋ ❋

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا شيء أثمن في هذي الحياة بعد رضا الله، من أن تأكل ما تحب، وترتدي ما تراه مناسبًا لك، وتكتب ما يمثلك، وترسم ما يعبر عنك، وتبكي في أي وقت دون تشوُّشك بمن رآك وأنت تبكي، وترتجف في وسط حر صيفٍ لأنك أخطأت شنيعًا، لا شيء أثمن من أن تعيش حياتك بتفاصيلها التي تنحتها يداك الضعيفتان، وأن تقرأ في موضوع يثير فيك الشغف ولا يهم إن كان "**تريند**" أم لا، وأن تكون نفسك مهما حاول الآخرون صنعك. وهذا ما وصلت إليه بعد وصولي من الرحلة المُرهِقة، وأستعد الآن لرحلات عديدة أخرى إن كُتب لي العمر.

وكما لم أنصف نفسي من قبل، وكما لم أقف ضدها من قبل، أقول في مثل ذا المجال غير المحدود، والذي يسمى الشهرة، أو كما أسميه أنا "**التحقق**": لم أدِّع يومًا المثالية ولا الكمال! بل كانت جُل مشكلاتي تنطلق

من كوني أسعى إليهما وأفشل، وتنطلق من عدم إنصافي لذاتي كما تستحق وليس فقط كما ينصفها الناس.

دائمًا تصبح أجمل في عين من رآك جميلًا، وتصبح أسوأ في عين من رآك سيئًا؛ فالقصور والنقص يملآنا جميعًا كما تملؤنا المزايا المبهرة، لكنها أعين الناس التي تختار ما تراه من النقص أو التميُّز وكيف تراه، وإنها ذاكرتهم التي تحدد ما تنساه من جميل أو قبيح، نحن الجمال الذي ترونه والسيئ الذي ترونه، لكنكم من يترجم شفرة نفسه فيما يراه من طبيعة النقد أو طبيعة الثناء، فخذوا الأمور على علَّتها لا إنصافًا لأنفسكم ولا ظلمًا لغيركم.

وفي مُقتبِل الأمر، للنفس عثرات وزلَّات، وللقلم حتمًا مبالغة بحكم قوة الشعور، فاعذروني ولا تعذلوني.

❋ ❋ ❋

بدايةُ الرحلة

بدأت رحلتي هذه مذ كنت في السادسة من عمري، في الصف الأول الابتدائي بإذاعة المدرسة وأنا أقرأ **سورة التكوير** بالسبع قراءات أمام عدد غير مُهمَل ولا هيِّن من الطلاب والمعلمين والمعلمات ومدير المدرسة وحتى عُمالها، وبدأ ضوء خافت كضوء الشمعة المحترقة يُسلَّط عليَّ بكل اهتمام وترقُّب! إلى أن أضيئت كثيرات من الشموع حولي بسبب هذا الاهتمام الذي تطور إلى تمسكٍ شديد بموهبتي في تلاوة القرآن، ومن ثم في الإنشاد الدينيِّ فجعلوني أحيي حفلات المدرسة والمدارس المجاورة، وشاركت في مسابقات جمَّة في تأليف وإلقاء الشعر والإنشاد، وبفضل الله وتوفيقه كنت أُحلِّي المدرسة التي أمثلها بالمركز الأول لا أقل، ومن هنا وهناك يحتفظ هذا وذاك بالأنشودة الفلانية في الحفلة العلانية، وانتشرت هذه الموهبة على صعيد مركزي **"أبو كبير"**، إلى أن أصبحت في الصف السادس الابتدائي، وعندها ابتدعت أول ألحاني تقريبًا في أناشيد

المنهج الدراسيِّ، وقصائد ألَّفتها بقلمي، وقصائد كان يؤلفها معلم اللغة العربية بالفصحى ومنها **"صرخة ابن الشهيد"** التي لحنتها قُبيل الحفل بأيام، وبالفعل حظيت من التشجيع والإعجاب الكثير والكثير! ومن ثَمَّ كانت الانطلاقةُ الكبرى، وانتقلت للمرحلة الإعدادية، حاملةً معي تفوقًا دراسيًّا وذكاء اجتماعيًّا، وبعضًا من المَلَكات التي اختصَّني بها فضلُ الله وكرمه، كما اختصَّ كل فردٍ فينا بصفات منفردة وفريدة تمثله هو لا غيره، ولكن لم تستمر الحياةُ على ما هي عليه من شعور جميل بالفخر والسعادة، فقد كثُر الحاقدون وبشكل خاص في الريف، وفيه الحسَد ميراث كما كنت أسمع، كثيرون راهنوا على فشلي، وسخروا من اهتمام والدتي بي دراسيًّا، واهتمام أبي فنيًّا، وسمعت أساليب رفضٍ كثيرة ومختلفة، بعضُها علمته مؤخرًا من والدتي لما كبرت، وبعضها واجهته بنفسي ولم يكن لي أي ردة فعل سوى الخوف الزائد والرهاب من الظهور في حفلات أو على مسارح، على الرغم من علوِّ قيمة المحتوى الذي أقدِّمه وهو الإنشاد الديني لا الغناء.

لم أترك حاجة ولا داجة في المجال إلا أتيتها، ومع ذلك فقدْ التهمتني الغصص والطوام، ولم تترك لي حتى مَن أبثُّ إليه لواعج روحي، وانتابني رُهاب خنق عفويتي، وأصابني ألمٌ يقفو بعضُه بعضًا، ألمٌ لا يُرتَق وهيُه ولا يُلأم صدعُه، ولم يدُر في خلدي أن هذه ما هي إلا مُقبِّلات لقادمٍ يحتاج حتمًا لقلب جسور، ولا يصحُّ أن أعيش فيه حالة من النكوص؛ بل سأتعلم ما هو يناسب حالتي ومكانتي فيما هو قادم.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

"تكـويني"

المشهد الأول

"بفضل التجربة المريرة"

حتى كانت الطامة الكبرى.. التي أخذت من عمري ستَّ سنوات تحاربني وأحاربها، تقضي عليَّ حينًا وأطردها حينًا أخرى، فكان لأبي صديقٌ مقرب من طفولته، وكنا نحبه جميعًا، وكثرت لقاءاتنا حتى زاد معها حقدُه على أبي وآل بيته، فدبَّر له مكيدةً كادت تودي بحياتنا، ولكن الله خير الماكرين، هذه المكيدة تابعتها أوهام كاذبة آمننا نحن -آل البيت- بها، وكانت هذه أمنيته هو وفريق عمله المجرمون، وبناءً على إيماننا بالوهم، اتخذنا أفعالًا سلبت منا نومًا ومالًا وراحةَ بال، وكنتُ طريقًا لإمساك أبي وأمي من نقطة ضعفهما، فتاهت منا شهية الحديث، عشق الاستماع، وحُب تكوين العلاقات، أصبحنا لا نقل سكونًا عن أي جماد على وجه الأرض، لا نشعر، لا نبكي، لا نتحدث، لا نتأثر، لا نعرف حقيقةً ما سبب ذلك، لكنها الترَّهلات، التراكمات، الأوجاع المتكررة والصدمات المتلاحقة، واحدة تلو ألف.

حبٌّ ليس من حقنا التعبير عنه، كرهٌ سنحاسب إن أظهرناه، أهل لا يتفهَّمون، وأصدقاء ليسوا بأصدقاء.. ومواقف أخذت منا الكثير والكثير؛ حتى أصبحنا بقايا.. أشلاء.

فقدنا الرغبة في كل شيء.. وفي كل شخص، وفي كل موقف.. حتى في أن نحاول مع أنفسنا استعادة هذه الرغبة، إلى هذه الدرجة صرنا أقوياء؟

غريبٌ جدًّا أن تتعلم من التجربة دون أن تعيشها، وترى نفسك تطبق القوانين حتى وإن كانت عكس اتجاه مسارك، غريبٌ أن تُخلق كل المشاعر منك، وفيك لم يعد لها وجود.. فصرنا قُساة على أنفسنا وعلى كل من حولنا، وصارت تُطبَّق عصارة التجربة على من لا ذنب له ولا حتى موقف.

وعجزنا عن أخذ خطوة تبعد عن حيِّز هذه التجربة ولو لفترة! وصرنا متعايشين مع الواقع بعد أن كنا دائمًا ضدَّه، لقد أفسَدنا الماضي حتى أصبحنا لا نُصلِح للحاضر، وعانيتُ وحدي في تخليصي من آثار تجربةٍ مريرة شاركنا فيها بعض الأقارب وقتًا ولكن لم يشاركنا فيها أحد إحساسًا بالخذلان!

عندما لا تعبر الـ "أنا" عن الفخر والاعتزاز:

ما كنت أعرف حقًّا -في تلك المحطة أو ذاك المشهد- إذا أنا على استعداد أن أدخل في علاقات أخرى غير التي دخلتها وسلبت مني حياتي، كنت كتلةً من أفكار صنعتْها الظروف وشكَّلتها المواقف بكل تأكيد كنت لا أملكني، ليس لي في نفسي شيء، وفي نفس الوقت لا أحد يملكني، أنا حتى لا أعرف كيف أنعمُ بتلك اللحظات التي اختارتني دون الجميع، دائمًا ما أخاف من ضياعها وانتهائها أو ظهور حقيقتها الكاذبة لاحقًا، أو ربما أنتظر أفضل منها في المستقبل، أو ربما يتضاءل حجمُها في نظري حين أقارنها بما هو أفضل منها في الماضي، فكنت في محطةٍ ما من الرحلة لا أفعل فيها الصوابَ ولا أستمتع بالخطأ أيضًا! لا أعرف كيف أختار بين شيئين أو أتخذ قرارًا مصيريًّا، مصادر راحتي أفقد منها في كل يومٍ ثلاثة على الأقل، يدَّعي البعض أنني بمثابة الحياة إليه والآخر يقف يومُه على اتصالٍ مني، وآخرون لا يطيقون سماع اسمي، لكن لم يكن -حينها- على الإطلاق من يعتني بي كما يجب.

وعلى الرغم من تقرُّبي وتضحيتي وحتى سوئي الذي أحتمل مثله ممن كانوا أيضًا سيئين، ذهبوا، وبقيت أكتب رسائل لن تُقرأ ولن تصل:

إلى عابِر سبيل ارتاحْ
من الغُربة في وسط الأهلْ
إلى التايه في نُص طريق
كَمال سِيرُه ماهوش بالسهلْ..
إلى الندمان على رجوعُه
إلى النار اللي في ضلوعُه
إلى حيلتُه اللي في دموعُه
بتكرار اللي فات م الجَهل..
إلى حُزن اتولَد صُدفة
ومن نُطفة لشايب كَهْل..
إلى الأعذارْ.. إلى الإنذارْ
إلى الإصرار على عنادي
وحَبس الحرف وقت البوح..
إلى شخصٍ نوى يبعِد
ويطلع منها غير مجروح
نقيض جرحك في قُربك إيه
سوى إنك تغيب مدبوح!؟

إلى الشخص اللي كان الروح:

يا شجرة زرعتها بإيدي

خدت مني سنين وشهور

سَلَكتْ فـ شَغلتي بيكِ

حدود ليَّ، آمال وجسور

حاوطتك باللي يحميكِ

مليت بيكِ فازاتي زهور

رميت بذور في عين أرضِك

كان المفروض أشوف وَردِك!

جَمال صوتك خِلال سَردِك

ما شُفتش غير شُروخ وكسُور

كإن الأرض كانت بُور!

ما شُفتش غير من الضلمة

برغم ان الوضوح في النور!

كإنك كنتِ نار فيَّ

باطفِّيها تهيج تاني

ما شُفتش غير شُعاع نورِك

دخل عيني فأعْمَاني
كإنك كنتِ للأحلام
كابوس قاصد يكون ستوب!
كإنك طفل بِتسَلَّى
ما هوش فاهم مَعاني الحُب
حُروف "**الذكرى**" ضامَّاكِ
وضامَّة كل ما بينْنَا
كإن القُرب فيه "**إنَّ**"
بيكشف لِيَّ في الثانية 200 مرة
بإن انتِ قِناع بوشوش
حفظت قناعك البايخ
حفظت وشوشُه بالتكرار
حفظت الدور لمين فيهم
لكن وشك دا ما عرفتوش!
أنا هارحل ومش هامشي
يا أصعب حل ما اخترتوش
يا مشهد كان سَخيف بايخ

بطيء جدًّا.. ما كمِّلتوش
إلى كُل اللي ضاع هَدَرا
إلى كُل اللي جاي قَدَرا
هذا.. كلُّ ما صَدَرَ
بإضافة لسطور بتذِل
مافيش داعي لِ"إليكم ليه"
هذي الرسالة.. لن تَصِل

استنفدتُ طاقتي بموادها الخام في كل شيء، حتى في اهتمامي بنفسي، وألعن سخافتي بالأمس حينما طلبت اللامبالاةَ من عصير الصعوبات؛ فهي الآن صعوبةٌ في حد ذاتها، أقبض على كل الأشياء مرة واحدة وتسقط كالسيل من يدي لا ألحقها، للإنصاف أيضًا أنا كنت جميلة.. جميلة جدًّا، ربما فكرتي عن العالم بالسوء والسخافة طابقتني أنا أيضًا، وكنت أتمنى أن يبقى جزء من هذا الجمال بداخلي يزهر يومًا ما، بعدما تميزت دائمًا بأنني لا أتميَّز.

كل نفس ذائقة الموت ولكن، ليست كل نفس ذائقة الحياة، وبجانب عدم كوني محور الكون وفاكهة المجالس، أنا حتى لست حملًا زائدًا أو

على هامش الكون، أظن أن الحُسبان لا يعرفني أصلًا، ولم أكن أطلب شيئًا ولا أريد أحدًا ولا أكره شخصًا ولكنني كنت في حاجة إلى قليلٍ من ترتيب المشاعر وتصفيف وتصنيف الفِكَر حتى أستعيد قدرتي على بث كلماتي ولضم حروفها مع حبال أفكاري، وأردتُ واحدًا من بين البشر صادقًا في حُبه لي، أرى منه أفعالًا تترجم إليَّ ذلك؛ فكنت حمقاء؛ أفسر البُعد كرهًا وقلة الكلام معي باستلذاذٍ بفرصة البعد هذه..

بكل بساطة يا سادة: ما زرعتَه يومًا في أرضك لا تنتظر منه النُضج دون أن ترعاه، ولا تنتظر منه شكلًا ينضج عليه إلا الذي زرعته عليه.

فكل إناء بما فيه ينضح، وليس لنا حق أن نفعل دون أن نضع في الاعتبار ردًّا للفعل.

وكمثل كل واحد فينا، يعجز عن التعبير إن فاض به ما أراد سرده! فماذا لو عجزت بلاغتُك في التعبير عن مجرد السرد؟ أليس ظلمًا أن تكون مصادر راحتك هي بذاتها مصادر أوجاعك؟

حين يجتاز الصمت حدودَه ويصبح ألمًا بعدما كان سلامًا.. حين تبكي عيناك وترى نفسك لم تعد قويًّا كما اعتدت أن تكون، حين يجتمع عليك كل شيء ولا يُقيم حُجتَك أحد! وتجد كمًّا من النفاق والكذب

والغباء والجهل، حين ينحصر معنى حياتك بين السفاهة والحكمة، بين كل شيء ونقيضه، وتفقد تذوق معنى للحياة جميل رسمَهُ إليك قريبُ في مخيلتِك، حين يصبحُ البعيدُ معنى جميلًا، ويصبح القريب أسوأ معنى.. حين تفقد كل شيء ما زال بيديك!

تعجز عن المعافرة وتصاب بروماتيزما المقاومة، لكن على أي حال أنتظر القادم، وستظل أجمل مراحل حياتي هي التي لم أحيَها بعد.

وبالانتظار يندثر كل شيء، فلا تنتظر أحدًا.. ومن رآك مخيِّبًا لظنونه رغم كل محاولاتك في ألا تخذله لا تبالِ به، ولا تتمسك بحبلِ الوصالِ الذي مزَّقته أفعالهم، أما عنِّي.. فكنت كلما خذلت وصُدمت وأقضي في غرفتي وقتًا ليسن بهيِّن ولا سهل، أنتظر -**من الله**- كتابًا أكتُب فيه حكايات ليلي.. وأتعاب نهارِي.. أشرح فيه لنفسي أمام أعينٍ قارئة كل ما صعُبَ عليَّ فهمُه، ليس بالضرورة أن يكون القارئ أكثر خبرة مني وأكثر مرورًا على تجارب لم أمر بها أنا، فقد أكون أنا لسانه، وقد يكون هو خبرتي القادمة قبل أن أقع في الخطأ، كتابًا يكون استجابة لدعائي يومًا حين قلت :"**اللهم فهِّمني حكمتك فيما أمرُّ به وأعانيه**".

بين حيطة تعني الانسحاب
وأخرى معناها الوجع
والوحدة هي التالتة أما
الرابعة أين المُرتجع
..
الحقيقة.. قاعدة دلوقتي ما بينهم
باشتكي مني لنفسي
باشتكي م الناس وليهم
كمِّ التناقض بين **"هنفضل"**
وبين **"معايا"** و**"مش لاقيهم"!**

لو ع البداية
فَسهلة يمكن ربما
أما النهاية هتبقى إيه؟
هاوصل لحاجة أخيرة ولا
هافضل ما بين أربع حيطان؟
رامي سُكوتي للودان

هي ليه ما لهاش لسان؟
كانت تونِّس صمتي دا حتى بسؤال
هذا الكلام اتقال من كل حد اتوجع
واتقال بصيغة تختلف،
وفـ وقت حتمًا مختلف

هذا الكلام يَخص جدًّا وحدتي دلوقت
ويخص ناس قالوا هتبقى كويسة بالوقت
وبخلوا بكلمة منُّهم كانت هتنهي وتختصِر
وباعتذِر.. لنفسي جدًّا ع العشم!
ع الأمل.. والعناء.. والاكتئاب
موجود في روحي كتاب
صُفحه اتملت شخابيط
كان نفسي أكون صاحبة قلم فيها
لكن ما شاء الله.. خطي ما هوش باين
ولو باين فمش إيدي اللي كات كاتبة
بس ع التشويه هي اللي كات شاطبة

وكان العتاب أعتاب
لكنِّ الوقت ما سمحشِ
وقالوا هتنسى بالأيام
وآدي العُمر ما مسحشِ
..
والأولوية تقول
اعتذاري واجب ناحيتك لو حتى مش مقبول
أنا عارفة إني غلطت
وما كنتش باعبدك كالصحّ
وانت الشهيد على الدموع والخوف
وانت اللي عارف إيه اللي مانع أنتحِر
وأخلص من الأيام.. وأهرب من المكشوف
خليني أقول لك في البداية
وانت عارف ما أقول
هذا الكلام منقول بالدمع والوحدة
حِبرُه مُرّ الصبر
أو خطُّه صَبر مَرار

مكتوب بفعل الزَّق وكأنه
زاهد من التكرار
بيقول لي والله ما حد هيسمَعك غيرُه
والله ما حد هيسمَعك غيرُه
..
بين حيطة تعني الانسحاب
وانا هابقى ليه؟
وازاي هتفضل وردة عايشة في وسط شوك؟
وازاي هتبقى فـ بيت أصحابه جُم طردوك؟

حِلِم الولَد قُربي، قرَّبت قام سايب
متجرَّحة وتِربي، مشغول كتير غايب

الانسحاب قوة
من بعد ضعف مديد
مش سهل تلقى شيء بيتكسَّر
ومش سهل تلقى الصهير في حديد

بفعل نار الانتظار.. نار الألم والصبر
القبر آه صامت.. لكنّ صمتُه كلام
إما العذاب معناه أو جايز الراحة

أهو الانسحاب راحة
من كترة التبرير في انتظار إقناع
من وِش مش مفهوم عايش بألف قناع
الانسحاب عظمة
لما الرصيد بيقل
لما الصديق بيذل.. لما الحبيب بيخون
الانسحاب الحل
والحل مش مضمون
..
والأخرى معناها الوجع
والماضي تحديدًا.. غير سائر الأوجاع
سيِّد الأوجاع والله كان ماضي
إيه يزعَّل الحاضر لو ما فيش ماضي؟

ليه نخسر القادم وحاضرنا مش زعلان؟
كام مرة كان الجدع، وما شفتهوش ندمان!
يعني الأساس ماضي
زعلت مش راضي بنقاش
لأن ببساطة مش أول مرة أزعل
سامحت كتير ولفيت السماح بالشَّاش
ورَدِّي وَرْدِي ووِدِّي كان جدًّا
والفاعل المفعول ما بخلش يوم يفعل..!

حيطة الوجع حاجز بيغرَّب الأحباب
ويبوَّخ الأعذار
ويسخَّف الأحاسيس، ويقصَّر المشوار
حيطة الوجع قايمة
موجودة مش تمثيل
بتكلمونا ليه وهي موجودة؟
ولولا إن أخرامها مصنوعة من فُرصة
ما كانتش عينكم منَّها بصِّت عشان تشوف

ما كانتش ذرة مقدرة سندتها لما تميل
فـ كفاية.. طَفَحِ الكِيل

حيطة الوجع حاجز
قافل ما بين قلبين
قلب رافض يعتذر
وقلب عاز سطرين..
حيطة الوجع تتهد
لو بس شِلنا الـ"بين"
..
والوحدة هي التالتة أما
الوحدة هي كلُّهم
موجود كتير عايش ما بينهم
وانت مش من طبعهم
الوحدة لمَّة فـ -وَحدْ- ذاتها
اللمة وحدة فـ أصلها
فمش فارقة غياب فـ حضور

ولا فارقة مين كان أهلَها
اللي فارق إن بعد كل محنة
هي النتيجة الحاسِمَة
هي السبب ولا الأتب؟
ولا البريئة الآثمة
..
والرابعة أين المُرتَجَع
مين حب مين ومين رجع؟
ومين في حِيله لسَّا باقي؟
ولسَّا قادر فيه يشدّ
ومين في حالُه لسَّا ساقي
الشوك ومقتنع انه وَرد!

كان نفسي والله اِني أفضل
واني أقبل بيكو تاني
واني أنساكو فـ فراقنا
بس طبعي مش أناني..

كان نفسي ما اكتبش الكلام دا
أو أوثق لحظة فيه
طب ليه وصلنا لِهْنَا طيب؟
وبيننا حُب بنحتويه
وليه سمحنا لقلب فينا
ما يلاقيش في الغير مكان؟

ليه سمحنا الحُضن يبعد
وفـ مكانه اربع حيطان؟!

❋ ❋ ❋

المشهد الثاني

" التحـرر من الوهـم"

حتى شاء الله لي التخلص من الوهم، برؤيا عظيمة لنبيِّ الله موسى ومعه سليمان -**عليهما السلام**-، وتفاصيل الرؤيا مع ملامح التجربة يندرجان تحت مسمى:"**الوهم بالسِّحر**"

وكان سرُّ خروجي بعد الرؤيا هو كتاب: "**السر- روندا بايرن**" والذي أتت به صديقتي إليَّ في يوم ميلادي، ووجدتُ فيه ما كان غائبًا عني.

فبالقراءة رأيت طريقي وملامحه...

ورأيت الدنيا بعين تجارب الكُتَّاب الذين قرأت لهم! ونعم كان مهمًّا قربي من الله، لكن للأخذ بالأسباب قيمة لا يُستهان بها.

❋ ❋ ❋

المشهد الثالث

"محطة التعليم ما قبل الجامعي"

وكذلك شاركت في مسابقات عديدة وعرفني المعلمون والمعلمات وازدادت صلتي بهم وغدت وثيقة، لكنَّ جلَّ ما كان يعرقل طريقي الدراسي هو مادة الرياضيات، كنت أحصل فيها على درجات مخزية على عكس باقي المواد، ومن ثَم حكمت على نفسي بالفشل وبأنني لن أصبح طبيبة كما يريد أهلي، ولا حتى مُعلمة كما كنت أريد لنفسي؛ لأزرع الخير والموهبة في نفوس طلابي، ولطالما كنت وما زلت أعشق التعلم الحُر غير المقيد بظروف وإمكانيات، غير المرتبط بالورق والحقائب التي تحني الظهور إلى التراب، أعشق أن أقضي أيامي باحثةً عن أشياء أود أن أعلمها وأتعرف عليها، أتعلم ما أود تعلمه، وأتخصص في مجالات عدة بدلًا من أن أتخصص في مجال واحد، أتمنى لو أن أقضي جُلَّ حياتي كما أريد، ولا أضيع من عمري عشرين عامًا في هذا التعليم وأخرج منه لا أعرف أن أكوِّن جملة انجليزية دون الرجوع للقاموس أو ترجمة جوجل أو المعاجم اللُّغوية الضخمة للقواعد، أتمنى لو أتيحت لي الفرصة أن

أرى الخارصين قبل أن ألتحق بالصيدلة، فلربما أبتكر منه طرقًا أخرى غير علاج اللو كيميا، وعندما رأيته لم أبتكر، لأن ما نرجوه عكس ما نلقاه، ولا داعي للتفاصيل المميتة، أتمنى لو كان تحصيل العلم بغير موعد، بغير قيود، وبدون موانع.

أتمنى لو تُحذف مناهج جمَّة مليئة بالخَرف والكلام الرويبض، وألا نحاسب كشباب أمة عن عواطفنا غير الموجهة توجيهًا صائبًا ونحن على مدار سنتين في اللغة العربية ندرس قصص حب بين عنترة وعبلة وقطز وجلنار، هذه المشاهد اللاتعليمية على الإطلاق.

أتمنى لو مكانتي ومقياس عقليتي واحترام وتقدير الغير لي لا يقترنون بأيِّ كُلية التحقت! فيستمعون إليَّ باهتمام؛ لأن داخلي منير وليس لأن مكانتي تُجبرهم على الإنصات باهتمام!

هذا الكوكب الذي يؤمن بالشكليات والألقاب والمظاهر أكثر من إيمانه بصنع الذات، ولا يعبأ بالقدرات الهائلة المهولة التي نمتلكها نحن ولا نجد من يكتشفها بعد ويطورها.

أتمنى لو أن أحيا طالبة علم طوال عمري، ولكن حين أرى كل هذه الأمنيات تكاد تكون مُستحيلة فيما حولي تمنيت أن أتخرج وبسرعة

شديدة كي أبدأ حياتي العلمية كما أردتها وكما رسمتها في مخيلتي وكما تنبغي أن تكون. وكأنَّ كل هذه السنين سجن كبَّل وقيَّد كل ما تمنيت أن أدرسه يومًا وأصبحت البراءة الوحيدة فيه هي أن تنتهي هذه السنون.

واجهتني مصاعب كثيرة وعرقلتني أوهام عطلتني عن التقدم للمستقبل وحتى التمتع بالحاضر، وكنت أهتم باغتنام الفرص لو على حساب عدم استعدادي لمواجهتها، فواجهت بدلًا منها مخاوف الإلقاء وإخراج العُربات خشية أن تظهر رعشة صوتي، وواجهت سرقة جميع كتاباتي في إحدى الصفحات المزيفة، وواجهت الصفحات المزيفة بذاتها التي أرسلت تهديدات ورسائل كره عمياء، وواجهت السير في سيول الشتاء على قدمي، وأذكر إصراري على معلمي ليستكمل شرحه للدرس بعدما انقطعت الكهرباء وذهبت جميع زميلاتي إلا أنا، وأذكر مواجهتي لصعاب كثيرة ليست هي موضوع هذا الكتاب، لكنني كنت أفوز، ولكنني على كل وأي حال كنت في نعمة ونعيم، وصرتُ أكثر تقديرًا لنفسي من ذي قبل؛ وشتان ما بين الغرور وبين الشعور بالتحقق والثقة بالنفس، وكي لا أطيل عليكم، كانت ثمرة هذه السنين أن جعلني الله

طالبة في كلية -**الصيدلة**- ظننتها في البداية لا تضاهي مجهودي لكن رضاي بها الآن يجبرني بمنتهى الحرية ألا أختار غيرها إن خُيِّرت، والآن أحقق حلمًا من أعاظم أحلامي، وأكتب إليكم كتابي الأول.. الذي تعمدت الاختلاف فيه موضوعيًّا ومحتوًى، ليس استعراضًا مني لعضلاتي الكتابية التي تحتاج إلى"**چيم**" حتمًا، وإنما عرضًا وتوثيقًا لما عشته وعانيته وألزمني الكتابة في وقت كنت أحتاج فيه أن أقرأ.

وفي هذه المحطة كُرِّمت في أماكن كثيرة، وصرت أحاضر لطلبة الثانوية العامة وأنشر لهم كتبًا في نفس المواد التي كانت أكبر عائق لي قبل دخول هذه السنة، واختارتني مجلتان لأصير عضوًا ناشرًا فيهما ككثير من الكُتاب الأكبر مني بكثير، واستضافتني الصحافة تارة في جرنال وتارة في مجلة كانت مشروع تخرج لطلبة جامعيين، كما استضافتني قنوات تليفزيونية رفضت الظهور فيها لأسباب ما، وقناة عن المواهب لجمهور ال"**أون لاين**". واستضافتني مدرستي -**الثانوية بنات**- لأجاوب على أسئلة الطلبة ومعي أبي وأمي يتكرمان بجواري، وأذكر وقتها حديث معلم فاضل أمام الجميع في الطابور وهو يؤكد أن قد تخرج من المدرسة كثيرون التحقوا بالطب والصيدلة والهندسة لكنه اختار من صدق كفاحُه وصعُبت قصَّتُه.

وافتتحت قناتي على اليوتيوب وبدأت في نشر معظم أناشيدي كما كنت أنشرها على الصفحة الشخصية.

حتى عُرضت عليَّ مشاركة في الغناء مع مطربة ومطرب مشهوريْن في برنامج: **"معكم - منى الشاذلي"** والذي تكون المشاركة فيه بفنِّي -**إلى الآن**- حلمًا من أعاظم أحلامي، ولكنني رفضت لتمسكي بالإنشاد على الغناء المُطلَق، وعروض كثيرة وهبتُها لله لأرى عوضًا فيه خير وحلال وأيضًا رضا..

وبعد انتظار طويل لوصفٍ لائق بما احتوته ضلوعي من ألم، جاء ما كُتب بمداد الانتظار:

- مراحل الهَد التنازلي:

كتير باغلط ومش باندم
ولا باسعى ولا بافهم
كتير بابعد ومش باهتم
للوحة تعَبني تلوينها

مشاكلي كلها تافهة
حلولي كلها مِنْها
حاولت كتير أكون نفسي
واشيل واحرق حطام يأسي
وابدِّد خوفي جوايا
لكن بافشل
أنا حالة لـ 100 واحد
وصفر يكمِّل الواحد
وحد يبان كتير جاحد
لكنُّه للأسف.. أهطل
صنعت بوحدتي سجني
وكان الصمت سجَّاني
جيراني في الحديد كتروا
وكات الخدمة مجاني
يجوز تطلب.. حرام تلقى
حلال الراحة لو سِرقة
برغم ان السما زرقا

لكن تقلِب سواد في الليل
فلو شفت القمر بيميل
ما تحكمشِ على نوره
بإنه كان بخيل زايف
ما يمكن انت مش شايف!
ويمكن نوره دا يحيي
مكان من زحمته ضلِّم
ويمكن لما بِتكلِّم
ما كنتش فاضي تسمع له
تغيب وتسيبه بينوَّر
ولا فكرت ترجع له
لإنه كان كما الصورة
ما ينفعش "الشروق" بيها
جمال الصورة مش فيها
لكن في نظرتك ليها.. إذن فيك
يجوز الوِحش جواك
يخيَّل ليك مدى سوءها

يجوز شدِّة فلاش عينك
تغمَّقها وتطْفيها
فما تشوفهاش!
أو انت في الأساس أعمى
فما تشوفهاش
أو الوقت المناسب كان غبي وما جاش
أسباب كتيرة تخلي الوِحش فيك انت
ومش فيها
أنا الصورة
محكوم عليَّ أكون دايمًا ما بين خيارين
أولهم ما اخترتوش..
تانيهم برضه ما اخترتوش
لكنهم -كَذبًا- بينهشوا حقيقتي
وبيخلوا اللي ظاهر مني حد غريب
كان المفروض يكون ليَّ في حلمي نصيب
لكنه للأسف ليهم!
كما الشارع يجوز للكل يتْخطاه

ويخبَط باب على جيرانه
كإنه كالقطاع العام
جميع الخلق بتشخبَط على حيطانه
وإن كان لي.. فهوَّ حِلم مِتخربِش
دا انا باسمع عن الأحلام
أكتِّف روحي واتكلبِش
أنا مش بس باتكلبش
أنا بابقى لنفسي كَلَبش
وأحيانًا باطلَّع دَبش
وأحيانًا باعيَّط نار
برغم ان الدموع مايه!
أنا طمعان في قُرب "**بعيد**"
وزاهد في اللي حواليا
رصيدي م البُكا شطِّب
وخلَّص فيَّ طاقة وبوح
ندَهت كتير بصوت منبوح
على الماشيين وقلت لهم:

حبال الوصل دي دابت على إيدي
باخفف م اللي كان بِبعِد
فقلتو للحدود زيدي!
حافظت كتير على الباقي
برغم ان اللي مِتاخد
ما هوش مِلكي
ولا هيأثَّر غيابه في قلبي بْشيء
لكن وحدي حافظت كتيير على الباقي
يا ريت الحب بشفع لي
ياريت العُذر بنفع لي
ضحكت.. الماضي دمَّع لي
وقال لي رذايلي مكتوبة
فطوبى للندم طوبى
حاولت اشطب حاجات بينْنَا
فطلعت "بينْنَا" مشطوبة
موبايلي آه صحيح صامت
لكن والله باستنى رسايلكم

وباتمنَّى سؤال منكم
وباتدارى في نورُه ساعات
عشان ما اضعفش وآجي لكم
واكمل هَدّ في الباقي من المَبنَى
قولوا لي هو إيه نابنا من التكسير؟
وإيه عابنا سوى رجوعنا في وقت حروب
أنا ميزة وكلي عيوب!
أنا كامل لكن مليان حاجات ناقصة!
كتير باضعف.. ساعات باقسى
حياتي كلها بائسة
لكن باضحك واضحَّك موت
أنا الشخص اللي كله كلام
ما يطلعش الا وقت سكوت.

❋ ❋ ❋

المشهد الرابع

"محطة التعليم الجامعي"

هذه ليلة آخر الأسبوع في المرحلة الجامعية.. وكعادة كل نهاية أسبوع أكون على موعد مع أحاديثي الساذجة جدًّا في منتهى الأهمية، فأقوم بإحضار مشروبي الدافئ، وصوت ساعة الحائط التي علَّقها لي أبي منذ عدة أيام يتجانس مع صوت دقات قلبي الخافت.. الخافت كضوء الغرفة حين أكون في هذه الحالة من الاكتفاء والاشتياق، ولا داعيَ أن تقولوا: المكتفي بنفسه لا يشتاق.

وبعد أن رتبتُ ما في غرفتي من ملابس الأسبوع التي لم أختر منها ما كان مناسبًا قط؛ لتأففي وتذمُّري وسخطي كل يوم على من اخترع الاستيقاظ مبكرًا هذا! بل الاستيقاظ من السادسة والعودة في الخامسة والنصف بعد المغرب! أي روتين هذا!

وطبَّقتُ غطائي لأفرده في الحال مرةً أخرى؛ فأستعد لليلةٍ يرافقني فيها ضوء شاشة هاتفي المحمول، والحامل للكثير والكثير من الأصحاب والأقارب والمعارف والمدرسين، بالإضافة إلى رقم

"الدليفري" الذي أفضل الطلب من عنده، وأرقام القليل من زميلاتي في الابتدائية.

وعلى أنغامٍ حزينة، يزيدها شجنًا صوت **"فلانة الفلانية"** التي أسمعها الآن، على أنغامٍ حزينة -**وهذا مخالف لعادتي**- في الفترة الأخيرة؛ فقد اعتدت على الضحك والتعارف وجعل الناس أكثر تفاعلًا مع الجو الذي أصنعه لهم من مرح غالبُه كاذب.. أستعد لليلٍ تملؤه التساؤلات عما سيلاقيني وأكابده الأسبوع القادم في محطات القطار ورحلاته الشيقة المثيرة التي لا يحلو يومي بدونها وإن كانت عند البعض **"وجع دماغ"**، طالما فضلته على الذهاب بالميكروباص الذي أرى من نافذته بوضوح ويلفحني هواؤها اللطيف، وعدة سنتيمترات بيني وبين مُجاوِرتي والتي اخترتها أن تكون أنثى..أو كان بإمكاني أن أختارها أنثى، هذا القطار الذي جعل الدنيا في عيني تُسفر عن وجهها القبيح، أو الحقيقيِّ كما ينبغي أن يوصف، وأوضح لي الأمور على علِّتها، رأيتها بعيني رؤية تختلف كُليًّا عن سماعي عنها في التلفاز والشاشات، وأركب ولا أختار مُجاوِرتي؛ فتكون تارةً أنثى وأخرى عجوزًا أقوم لها لتستريح، وتارات

ذكورًا، وتارة واحدة كل تسع رحلات يكون رجلًا فيقف ويشير إليَّ بالجلوس في مقعده العام الذي لا يمتلكه أحد.. هذه القواعد الأصولية المتأصلة التي عفا عنها الزمن كادت الآن تنبئُنا ببشارة قدومها وبقوة.

ناهيك عن هؤلاء المعارف أو كما تدعونهم بالمحبين أو الجماهير! ووجهي الذي تسيطر عليه الحُمرة خجلًا حين تلاحقني إحداهن هناك أو هنالك بالسؤال الشهير، الذي يستوجب عليَّ أن أخلع سماعات الأذن وأهب تركيزي لها: انتِ **رانيا صلاح العريني؟** فأجيب بالموافقة وعندئذ أستمع لقصائد الإطراء والشكر والإعجاب التي فاقت بكثير ما يمدحونه -**في الأصل**- من قصائد!

هذا الانبهار الذي يُضمر وراء حروفه أخطاء لو علموها ما عرفوني قط! لكنه الستر. ومع ذلك، أصبحت أكثر تقديرًا لذاتي وما عدتُ أقلل من شأني أبدًا؛ لما كنت به جديرة من ثقة وثبات في أشد أوقاتي شدة.

أتذكر منذ سنة أو تزيد قليلًا ماذا كان مشروبي المفضل الذي أحتسيه عند كتابة نصوصي أو عندما يكرمني الله وأجلس لأذاكر! وأظن أن بعضكم على علمٍ بما كان، ولا أظن أن واحدًا منكم على علمٍ تامٍّ بما هو كائن الآن.

فلم يعُد مشروبي المفضل هو مشروبي المفضل! على الرغم من أنني أحببته حُبًّا يفوق حب خلايا الجسم للماء والأكسجين والدم وبعض الأعشاب، يؤسفني أن أقول في سبب إحالته ضمن قائمة المحظورات أن ضررَه كان أقوى بكثير من حبي وإيثاري له، لذلك؛ اخترت أن أوثر صحتي وعافيتي أو بالتحديد خوفي من عاقبة إدمانه على استمتاعي وتلذذي بطعمه المختلف و"**المُكيِّف**" إن جاز لي التعبير..

وكما كان مع الشاي.. كان مع كل المفضَّلات التي جعلتُها أولويات!

فلم تعُد صديقتي المفضلة صديقتي المفضلة، بل لم تعد صديقاتي جميعهن إلا قليل صديقاتي! ولم أعد -**يا للشرف**- الطالبة المثالية الأولى والأخيرة في عيني أستاذي الفلاني، ولم أعد الحبيبة أو المحبوبة المناسبة لكثير من أولئك الذين فعلوا وحاولوا ولم يجدوا مني ردًّا.

لم أكن أعلم بالشكل الكافي عن تغير حياة المرء بالكامل بمجرد التحاقه بالجامعة، لكنني الآن علمت كيف للمرء بمجرد التحاقه برحلة جديدة أن يتغير فيها الزاد والمتاع والركاب ووجهة السفر! وأن تتغير حتى أغنياته المفضلة! وأصواته المفضلة! وألوانه المفضلة! وكاتبُه المفضل!

تتَّسعُ المداركُ فتصغر الدنيا.. عَجَبًا.

وأذكر ضحك صديقتي الساخر مؤخرًا عندما اكتشفت أنني أصبحت أستمع لفيروز بعد ذمِّي في اللون الذي تحترفه من الغناء! لكن ببساطة وبمنتهى التصارح! ما دفعني مؤخرًا لاستماع فيروز ضد ما كان يُثبط محاولتي في الاستماع إليها قبل ذاك. الأيام تغيرنا حقًّا!

انتصار مهزوم..

أنا لا أنكر أخطائي، ومتصالحة جدًّا مع عيوبي التي أعلمها أكثر من أي إنسان ظنَّ نفسه مرآة، لكنني ما كنت قطعًا اليدَ التي تَفلِت، ولا من هان عليه الود.

نعم! حققت حلمًا لم يكن بسهلٍ لدى والديَّ، ونعم حظيت بالمزيد من التقدير الاجتماعي وتحقيق الذات والتمتع **بكاريز** مُشرف، حظيتُ أيضًا بالشخص الذي أحبَّني حقًّا.. وأحب فيَّ سوئي قبل حُسني، وغضبي قبل ابتسامتي، وبُعدي قبل قُربي، وإيماني بالمنطق والصواب قبل جنوني الذي يفرض عليَّ أحيانًا أن أتخلى عن هذه الأزمات النفسية والتي منها **"المنطق"**.

وكنت أخشى أن تعطيَني الحياةُ فيه درسًا.. وهو الذي أهدته إليَّ كلُّ الدروس! ولكن أجمل ما وجدت فيه أنه الحب الذي -**بالقدَرِ**- اخترتُه، وليس الذي وقعتُ فيه.

نعم. حظيت بكل ذاك وأكثر وأكثر! لكنني عالقة في سجون الماضي، التي شيَّدت جدرانها حجرًا تلوَ الآخر الأشياءُ المفضلة...

أشعر بحنينٍ دائم لكل ما رأته عيناي جميلًا؛ أومن بأن عيني لا تكذب أبدًا، وكأنني أرجو من الحاضر مُهلة مُطوَّلة حتى أضم ما تعمَّد أن يفقدني! لا أنكر أن الروح الطامحة لا الحالمة ما زالت بداخلي، والدليل أنني ما زلت أطمح في استرجاع ما رأته عيناي جميلًا! لكنني لم أعُد أتمسك كما جُبِلَ قلبي.. وكما تعود ذهني على اختراع القصص وابتداع الحِيَل لأرسم البسمة على ثغر من يحوي ثغره لسانًا تسبب في بكائي..

لن أحدثكم كثيرًا عن شخصيتي الجديدة، والتي لم أعرضها كُليًّا حتى الآن على أرض الواقع، بل أقصد بالتحديد الجزء المتبقي **"الراسب الذي لا يذوب في المذيب، الأقوى حتمًا من أي مذيب قطبي أو غير قطبي: الحياة."** الراسب من هذه الشخصية القديمة، هذه البقايا التي أقسمت ثلاثًا ألا تتركني إلا وأنا منحنية أمام رغبتها في الهيمنة على حاضري،

لكنني والله أُقاوم! لقد تمزقت أربطة مفاصلي من جراء مقاومتي وحرصي على الالتحام اللاصق المعنويِّ.

فلنقل أن الشخصية القديمة -**حقيقةً**- لم تمُت، وإنما انضمت إليها في فراش الخلود الآمل في الموت شخصيةٌ أخرى جديدة لا تتفق معها إلا في محل الإقامة، وأن هذه سجينة الماضي.. تكون بجدارة وليدةُ اللحظة...

وسيكولوجيًّا: احترامك للآخر يولِّد احترام الآخر لك ومن ثَم يتولَّد احترامُك لذاتك.. والاحترام قوَّة،

والقوة تبيح الاعتذار عند الخطأ،

والاعتذار يولِّد مسامحَة،

والمسامحة تولد اهتمامًا،

والاهتمام يولِّد قُربًا،

والقُرب يولِّد تعاونًا،

والتعاون يولِّد عملًا،

والعمل يولِّد عملًا غيرَه،

والعمل الآخر يولّد إنجازًا،

والإنجاز يولِّد ثقةً بالنفس،

والثقةُ بالنَّفس تولِّد كل شيء ولا استثناء في ذلك، ومن ثمَّ يتأتى الاقتناع بالنفس، والاقتناع التام بالنفس لا يعني إطلاقًا الرضا عنها؛ بل الرضا بها، لأن اللهَ سبحانه وتعالى كما نهانا عن الغرور نهانا عن تحقير الذات وإهمال قدراتها وعن ذمِّها، إذن ليس كلُّ واثقٍ في نفسه مغرورًا، رجاءً، كفانا نعيب اكتفاءَه بنفسه واكتمالَ ذاتِه لعجزنا عن سدِّ الفجوة بين نقصنا وثقته! وليكن حالُنا من حال أنفسنا البارحة وليس من حالِ فلانٍ أو فلانة!

.. وكما عوَّدتنا الحياة، لا وجود للكمال فيها، فكنت أظن بمجرد وصولي لمرحلة علمية ما فستنتهي الحروب والظروف والأتراح

ولكنها ضاقت أكثر، كما لم أتوقع...

لو يسألوك ع السن
في العشرينات مثلًا
لو يسألوك ع العُمر
شايخ وعجزه كبير
ضاقت فلما استحكمت
خبِّت ملامح الخير

من وسط نار البَرد باكتب لكم
وباقول لكم
أنا اللي داق المُر.. وماحلَّاش
أنا العاشق بدون رجعة
وطابعة الكِلمة في جروحه
وما استغناش
أنا الراجع بدون توبة
وطوبة فـ حَلق ناس أوباش
أنا المتصاب في حادث شر
ووحدي -**للأسف**- من عاش
..
لو يسألوك ع الشكل
حِس البراءة يبان
مع حبة التجاعيد
بارزة بكل حنان
عين كاسرة غيرها وعين
باكية على الغلبان

شفايف
من فرط ريقها الناشف اتكسَّرت
تفاصيل بتحيا جوا دايرة الانعزال
سواد العيون يحكي عن الإهمال

عابر سبيل معدي بالصدفة
شافني، سأل: للحزن ليه شيال؟
أنا اللي شلته برضه واللهِ؟
طب كان زماني رميت
من بعد كوم أحمال
..
خبر عاجل:
عابر سبيل يحكم
ع طعم أكلة في بُق ناس غيره
عابر سبيل لا شاف ولا حَس ولا فكَّر
كل اللي عارفُه عن حياته إنها
تصلُح تكون كتالوج يمشي عليه الكُل

عابر سبيل بالعافية فاهم عن حياتك ما جَهِلت
كل دوره فيها ينهشها،
يرمي في دقايق كلمتين
عاوزين علاج مُمتد، غير منتهي المفعول
عابر سبيل موجود في حياة كتير فينا
محتاج يحس بإن من إيده هنا
غير اللي إيده هناااك
..
رسالة لناس بتحبِّني كُرهًا:
تفرح قوي لو بينْنَا ضحك ولعب
تهرب وتجري لو دخلني الحُزن
مش هو هو الشخص في الحالتين؟
ولا تحبوا حالة مش أشخاص!
حبيتو فيَّ العيبة لو هتعِرّ
وكرهتو قلبي لو ماليه إخلاص!
في شرع مين أقبل وجودكم في العدم
واقبل عدمكم في الوجود

جنبي في فْرحي مسلمين
وفـ حزني تتقلبوا يهود!
..
ولو يسألوكـ ع الوقت
ثانية تساوي سنين
ريحة المرض وحشة
إن كان ما فيش زايرين
ريحة السهر حيرة
لو سببه مش كافيين..
..
لو يسألوكـ ع الروح
شايفة البشر خاينين
متعلقة بأموات
راحوا ومش راجعين
..
في الغربة ألف غريب
فيها الجدع والدِّيب

بس أكبر الأكاذيب:
لو حد حس بحد
بابني الثقة بالقشّ
هدوا الجمايل هَد..
..
من دواعي كآبتي
باكذب واقول مسرور
لكنّ عند الشعر باتوضا
وكأني باكتب عهد للقُراء
إن اللي فاق من صمته ما هيكدبش
أول ما ينطق صِدْق
آخر ما يختم صِدْق
كل التحايُل عبء
لو طابقُه مش مستور..
لو يسألوك ع الحب
نارُه بتقلب نور
أو نوره هو النَّار

العكس فيه دايم
والرَّك ع الإصرار..
..
لو يسألوك ع الحُب
كل البنات، تتمنى لو تعشَق
تطلب أوامر، بعدها تنفيذ
شايفة المُسمى من بعيد مُلفت
فتعوز كتير تدعي:
يا رب هات لي عزيز
لو يسألوك ع الحب
شفرة بدون تعويذ

لو يسألوك ع العشق
ساكر ما داقش نبيذ..!
..
توهة العيون عند اللقا أثناء ما كان أوَّل
فُقدان لوعيك تامّ، نظرة رضا شاردة

يا رب ليه هوَّ؟ يا رب ليه هيَّ؟
يا رب ليه مهتم؟ يا رب ليه باردة؟

مسكة إيدين دون لمسَها تِشفي
مسكة إيدين باللمس أكبر داء
كام مرة ساق تعبيره عن حبُّه
كام مرة قال مغصوب، طبع الحبيب يشتاق
خسر الحبيب والشوق وفراملة كات بايظة
لما فقد مِلكُه.. أدرك أخيرًا فاق

لو يسألوك ع الحب:
نادر ما تطلع حي، من وسط كوم أشلاء.
..
ضاقت قوي
وفـ كل مرة أحسها
أول حالاتها تضيق
باسكت يا رب ما فيش

في المعنى وصف يليق
ضاقت قوي
ووضعت إيدي على الهوا
ما لقيتش جنبي صديق..

لازمًا تدوق المُر من عَسَله
تبقى الضعيف الطيِّب.. الجبَّار
حتمًا لا بُد بإن قلبك يتكسر
لازم تجرَّب حُب أول نار

مش نار لِحِبْ أوِّل
أرض القلوب مش طوب،
لتسيع نيران تاني
سقف الأمل مشقوق،
من فرط شوق طوِّل..

آخر طريقك خطوتين،
بينك وبينهم ميل

خُدهم وسلِّم للقدر،
شدّ فـ حبال الحيل
يمكن في آخره تلاقي رد
لكل أسئلتك زمان
يمكن هتدفى فـ ركن هادي
مؤهِّلاته إنه أمان
..
ربٌّ رآك بلا رفيق..
ورآك قهرًا مُعرجا
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فُرجت
وكنتَ تظنُّها لن تُفرَجَ!!

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

"صراع بين الينِّ واليان في شخصية واحدة"

لقد غابت شمسُ السَّطوة التي طالما حَجبت عنا عتمةَ الضعفِ والانكسارِ، فتحوَّلا إلى صَلفٍ واكتفاء في آنٍ واحد، والأحاديثُ المطويَّة التي كانت في الماضي تهوِّن علينا مَشقةَ الطريق، وهِجرة الأوطان أصبحت الآن لا تُكتَب إلا بمعانٍ عميقة يأتيها الحُزن والاكتئابُ من كل حَدبٍ وصوب وترفض الحِبرَ الذي يكتُب بفيضٍ دون حساب وإسرافٍ دون اعتدال، فقد فَقَدنا أعظم ما كُنَّا نملك حتى أصبحت قلوبُنا قِفارًا، فقدنا من هو الآن تحت التراب تاركًا لنا ذكرى لن تُنسى إلا باللقاء، ولن تخمد لوعة الشوق إلا بتحقيقِ ما يشغف به القلب، فَتَّ موتُهم في عَضُدِنا فنُنعي أنفسنا علَّنا نجد هُوادةً في البُعد والجفاء، ثم تحولت الحياةُ إلى فاجعةٍ نواجه هَجماتها سِجالًا، لكن ما تعمَّدنا أبدًا العِناد أو القسوة معها، فلا شيء دائم وباقٍ ولا شيء كامل وتام.

فتارةً نحبُّ الحياةَ حتى نكادُ ألا نرى فيها بؤسًا، وتارةً نكرهها حتى نموت ونحن على قيد الحياة.

وتارةً تُنصِفنا المواقفُ والظروف وتارةً أخرى تصبح ضدَّ تيار رغباتنا المُلحَّة.

حتى تَأتي الحَرب دون هُدنة فتشُوَّش نفسُك بالنَّزغات فلا تفرِّق بين الحق والباطل، بين البَلاء والعِقاب، وبين الخير والشر، فتفقد حينها صديقًا من شدة حرصه عليك أهملتَهُ، ومن قوِّة اتصاله بك قطعتَه، فظنَّ أن الزمان غيَّر فيك ما أحَبَّك لأجله، ولكن هيهاتَ أن يعلم أحدٌ تدابير القدرِ! وفي ذات الوقت ينقُض أحدُهم عهدَه معك فتختلِج كلُّ الشكوكِ في صدرِك فتجدَه ضيِّقًا حرجًا، ومع الأيام تتحول لإنسانٍ لا يثق حتى بنفسه، تُغالبُك الأوجاع من كل جانب وأنت ثابت لا تتزعزع، لا تكترث لما يحدث حولك..

ومن الجانب الآخر بداخلك سيلٌ لا يَنضب، وجرحٌ لا يتضمَّد ونار لا هي تُدفئ صقيعَ روحِك ولا تحرق ما طَوَته سنينَ عُمرِك، تحوي قلبًا كريمًا ليس بضيِّق العَطَن في مشاعره، فتفقد جُزءًا كبيرًا من نفسك نتيجةً لهذه الغِيَر والسَّطوات المتوالية والعطاء الذي لا ينقطع، ويمرُّ العمر هكذا وأنت تفقد وتفقد، حتى لو سألتك الآن كم من الأشياء والأشخاص والمكانات والفُرص فقدت؛ لوجدت أن عدَّ ما لديك الآن أسهل!

يعتكر ليلُك فيحجب ضوءَ النهار وتتكاثر حولك الأسْمار من جرَّاء الكتمان الذي دام لفترة وترك في جسدك كدمات ولا تشتكي حتى لنفسِك..

ومع كل ذلك تنسى أن تعقد عُقدة وتتشبث كلما وصلت لنهاية الحبل! تنسى وتترك الحبل يتفكك مرارًا وتتناثر معه كل الآلام التي لو أوجعتك حقًّا لتعلمتَ منها وأتقنت التعامل معها، لقد أصبح الأهلُ كالأحباء كالأصدقاء كالزملاء كالغُرباء لا فارق، لا فارق بين قريب وبعيد منهم إلا بالوجود وقت الشدة.

تخيَّل معي أُناسًا لا يعلمون إذا كُنت في شدةٍ أم لا؟ فهل تتوقع وجودهم بجانبك؟ يبدو أن عليك التماس العُذر؛ فلو أحبوك لرافقوك مسيرة الطريق دون هَجر في منتصفه!، **"لقد تعاهدنا على السير معًا"** هذا الشعار الكاذب لا ينطبق حين تتساوى مصلحُتك مع مصلحة رفيقِك، ونفسك هذه التي تماطل وتجادل وتُناكف ألم يُجهدها العناد؟ ألم ينبعث فيها من كل هذا الذي رأتْهُ شيءٌ يوقظها من غفلتها! ويجعل كلَّ ما مضى أثرًا بعد عَين! أم أنها ما زالت مُصرَّة على أن تحيقَ بها المَثُلات ويزيد في

زيفِه معها عرضُ الدنيا! وتزداد هي في انخراطِها في البكاء والتفكير كل ليلة!

لا بدَّ وأن أولئك الناس الذين يحيَوْن حياةً طيبةً لا يُعكر صفوَها رحيلٌ أو بقاء كاذب يعلمون سرًّا من أسرارِ الكَون التي خلقها الله! لا بُد أنَّ هناك شيئًا ما بداخلهم لا يقبل الكَسر والتحطيم، لا يرى في الحياةِ إلا ما يُسعده أو حتى يرى بعينٍ مُنصِفة كما ترى هذا ترى ذاك، لا بد وأنهم يعرفون الله كما لم نعرفه نحن.

❋ ❋ ❋

أقربهم إليك.. نفسك..

أبقى المتغيرات وأكثرهم ثباتًا إليك ومنك هو أنت.. **"فالخيرُ في أن تملك على نفسِك أمرَها"** كما قال طه حسين في إحدى سطوره البصيرة والمنيرة جدًّا.

مهما طال بك الطريق وبعدت بك الحياة نحو أماكن نائية لا تعرف لها مسارًا فالخير في أن تملك على نفسك أمرَها.. كم مرة حذقت التقرب والتودد ولم تلق ما رنوتَه، وبعد بك اشتياقك إليه! كم مرة تألمت وتعلمت وتفهمت أن الدنيا على علَّتها ليست بكاملة لأحد ولا بباقية ومع ذلك تهطع وراءها كالمقيم الآبد فيها بآمال ليس لها تخوم! وإن طال أوارُك لا تيأس رغم علمك اليقين بأن ما يذلك زائل! الغريب ليس في أملك المتجدد رغم محاولاتك التي كثيرًا ما باءت بالفشل وإنما في شغفك الذي ما زال يزمع على الوصول! فلا عليك يا مسكين القلب من أولئك المتنطعين الغُلاة الذين لا يهشُّون إليك إلا نفاقًا وتملقًا..

واقبض بيديك هاتين على نفسك واحتفظ بها إليك ولا عليك من أولئك الذين لا يشعرون ولا يكترثون لمن يشعر، وقدِّر جمالَ ذاتِك ليس لأحد غيرك.. أنت.

أنت يا من طالت عليك الغربة والظلمة ولا أنيس إلا ربك، هو الذي يعلم ويقدر ويرحم.. هو الذي يغفر لك رغم قسوتك على نفسك وبغضك لها.

ولا عليك من الذين ينبون على حقائقك وينكرونها، فما دمت تثق بها أنت وتجلها فلا تهم آراؤهم ولا نظراتهم..

فالذي لا يرى الجمالَ لا ينعم، وما إن رآه ولم يقدرْه لا يستحق أن يرى، ومن لا يصون **"العيش والملح"** لا يكون صديقًا -**البتة**- ومن لا يضحي ويعرق جبينه عليك لا يستحق أن يدخل حياتك أيضًا.. إنك نادر لأنك تحملت هذا السوء ولم تتغير إلى الآن، ولم تغدُ مغايرًا للواقع والمحيطين بك، ونادرٌ لأن جوهرك ما زال لامعًا وبرَّاقًا يشعُّ حنانًا وعطاء. هذه كلمات عسى أن تصل وعسى أن تكون الأخيرة وعساك أن تكفَّ عن الإفراط في نفسك والتسيب لها، وأن ترعى أنَّاتها كي لا يُشتَطى عليك وتندم أو تنظر إلى نفسك شزرًا..

من يريد البقاء ليس في حاجة لوعد بأن يبقى، ومن اعتاد الرحيل سيرحل وإن سلَّمك وعود الدنيا.. فكن الأبقى دائمًا لنفسك وازدد قوةً في كل مرةٍ يظنونك تبلى.

أكبر كذبة في العالم أن تظن أن فلانًا خُلِق لك، وأنك قد خُلِقت لفلان، أو أنه نصفُك الثاني وأنت نصفُه الأول؛ بالخبرة أو بغيرها ستصل إلى المعادلة النهائية أو القانون الأساسي الذي يدير الكون بأكمله بعد استنتاجات عدة لقوانين متفرعة قد مررت بها، ولكنك لم تلفت إلى الثابت بالًا وأبدلت البسط مقامًا، وبسطت لذوي الهامشية المُطلَقة طريقًا مفروشةً بالورود والعبير، وبسطت لآخرين طريقًا يتخلله الشوك عن يمينه وشمالِه، به حجارة يتعثرون بها وتغمس أنوفَهم بالتراب وتطرحهم أرضًا، وهم مع ذلك يتتبعونك بأعينهم اهتمامًا حتى يختفي أثرُك فيتذكرون أنهم خُذِلوا، ومنك أنت، يا من كنت أملهم وحُسن مبتغاهم ونصفهم الثاني.. ولا يدرون أنك مثلهم تمامًا قد خُذلت مرارًا حتى لم يعد لتكوينك أساس، وإلى الآن ما زلت تتعرف على نفسك الجديدة التي شكَّلها الخُذلان والاستناد على الغير دون الله.. ويحك! إذا كنت طالبًا وتريد فهم مسألة ما أتطلب خطواتها ونتائجَها من معلمِك أم من طالبٍ مثلك حتى ولو كان متفوقًا؟! بالطبع للأكثر خبرة والأعلى مكانة والأجدر بالثقة: ثقةِ التبعية (الاتباع)، مثلما أخطأت في ثوابت ومتغيرات

ذاك القانون، أخطأت في حكمِك على كثير من الأشياء حولك.. ومنها اتخاذك الناس مأوى وجعلُك الآخرين أنصافًا يكملونك؛ إن كنت نصفًا لهذه الدرجة فلماذا تدخل المرحاض وحدك؟ ولماذا لديك معدة واحدة؟ ولماذا لا ترى إلا ما يعكسه الضوء على عينيك أنت وليس أعين الآخرين؟!

ومن هنا يتجلَّى الثابتُ المتأصل الذي لا يقتلع والكامل الذي لا ينقص.. الباقي الذي لا يفنى والذي لا يغفل ولا ينام.. الذي جعل منك واحدًا صحيحًا كاملًا يكتمل روحيًّا وعقليًّا بقربه فقط: **الله**.

لا ثبات في دنيا المتغيرات!

بلا شك.. الحياة مشاهد متتالية ليست متوازية لا نعرف لها نسقًا ولا ميعادًا.. لكن أجمل ما نعرفه بين فواصل تلك المشاهد هو شيء يشبه إلى حد كبير **"كتالوج"** لمنتج ما..

نطَّلع عليه من بعيد بعين محايدة.. نرى فيه السيئ ويرينا الجميل -**ولعل اختيارَ ضمائر الفعل ذو مغزى مؤسف**-.. ونرى في المجمل المنتج دون مشاعر دونية دنيوية متدنية أو حتى متعالية.

هكذا الحياة تميل بأوجهها عنا كثيرًا.. ولكل وجه تديره علامة وموقف وذكرى.. ومع تتابع هذي الأوجه -التي ليست بأقنعة لا جرم- نحن نكبر ونكبر بفتح الباء تارة وبضمها أخرى وننضج وقد لا، فنزداد حماقة وسخفًا وتهاطلًا على الزيف والعبث، وتساقطًا على التقاعس والتناسي.

إن رؤية الحياة المثالية هي ألا شأن للظروف بردود أفعالك المتجاهمة والعبثية، وأن الراحة لم تخلق فلا تتخذها حلمًا تسعى إليه، وأن ما تفكر به هو أنت.

فمن أنضج المراحل التي قد تصل إليها بمرور العمر، ألا تكترث ولا تعطي أذنيك لآراء الناس فيما تفعله وتقوله أو يبدو عليك، ثمة تعبير ما ظهر في ملامح وجهك لا يفهمه إلا أنت من داخلك، حتى وإن تبين للآخر أنه من حيَل اللغة الجسدية.

❋ ❋ ❋

أنا والناس

لقد كان ظلُّ الناسِ عليَّ ثقيلًا بطبيعتي الماضية، حتى وصلت إلى تحديد أولوياتي واهتماماتي بناء على ما يهواه الآخر أو يراه مناسبًا لي ولحالتي، أحب هذا النوع من الملابس! لا إنه غير مناسب على الإطلاق لجسدك الصغير، بَيد أنه يُبديكِ أكبر سِنًّا! أريد أن ألتحق بكلية التربية لكوني أحب التدريس وماهرة فيه منذ صغري! لا لا إنها ليست من كليات القمة، لا بد أن تصبحي طبيبة كي تعالجي المرضى ويرتفع شأنُك الاجتماعي، وهذا على الرغم من أن المعلم ينشر الوعي الذي يقي الطلاب والطالبات من الاحتياج للطبيب في كثيرٍ من الأحيان.

إذن أريد أن أرتدي النقاب! كيف تحكمين على نفسك بالإعدام وأنت لم تتجاوزي العشرين من عمرك! ولم تجدي شريكك المناسب! إذن فأنا أريد أن أخلع الحجاب! ويحكِ!! أتلحدين! كيف لكِ أن تتخلي عن مبادئك التي تعلمتِها وانتهجتِها!

أو آراء غير لطيفة لم تُطلب من قائليها: مالك خسيتِ ليه كدا؟ ياا ربي تحت عيونك سواد، ما لك يا بنتي؟!! بتنشري كلام رومانسي بقى

لك فترة، بتحبي ولا إيه؟ الله أكبر يا بنتي تخنتِ قوي هتتجوزي ازاي ولا مستحملة نفسك ازاي؟! انت بتقعد لوحدك كتير ليه عندك اكتئاب؟ انت ما بتضحكش كتير ليه؟ انت مغرور ومتكبر! انت بتضحك كتير ليه انت تافه وما لكش شخصية؟ انت ما بتكلمش حد، مين شايف نفسه ناو؟ انت مصاحب كل الناس وفاتح حياتك للكل، احتفظ بخصوصياتك شوية! شعرك باين م الطرحة هو دا اسمه حجاب؟.... إلخ

وهكذا الناس.. تلقي القولَ على عواهِنه، فلا تفتح صيوان أذنيك للقول والقائل، كل هؤلاء يزعمون الحكمة ويتصنعون الألوهية في إصدار الأحكام حتى وإن زخرفتها الأدلة وزادت من مصداقيتها البراهين، لا تصغ إلا لنفسك وما توجهك إليه قناعاتُك الآتية من نبع تجاربك الخاصة بعد قراءة وتفكير وحسن اتباع، لا أنكر أن للتشاور والنصح أهمية قصوى، والذكرى التي تنفع المؤمنين، لكن هذا غير ذاك، أنا أختص بهذا الحديث هؤلاء الفارغين، الذين لو كان للفراغ متاجر لكانوا من أكبر التجار فيه! هؤلاء الذين يرون أنفسهم في حياتك، الفضوليين وجُهال حقيقة الأمر، هناك فارق بين أن تكون مستقلًّا

بشخصيتك ومسؤولًا عن كل أفكارك ومعتقداتك ومن ثَم قراراتك، وأن تكون تابعًا لا يرى متبوعه.

هذا الموضوع الذي لحمته وسُداه أن تؤمن أو لا تؤمن عن اقتناع، أقترح عليك أيها القارئ الواعي عدم تقبل أي رأي إلا بعد فحص ودراسة وتؤدَة في القرار، دعك من الاشتطاط في إبداء رد الفعل تجاهك؛ فغالبًا سيكون لسبب عاطفيٍّ غير منطقيٍّ ولا مُبرَّر.

ومن الإمر أن ترى أقوالًا عنك وشائعات أنت آخر من يعرفها! فلا تعجب! ولا تصل لمراحل الاشتطاط في حسن النية وسلامة الظن وتصدق على نفسك ما يقال وأنت أبعد ما يكون عنه! لا تكن خَوَّار العود! فقط واجه!

وقل ما تقتنع به بكل ثقة وجرأة، فأنت لم تخلق لكي تشكلك آراء وأهواء الناس؛ لست طينًا صلصالًا! كن على الشكل الذي ترغبه أنت! إن كنت تعشق الطعام والوجبات اللذيذة وتفضل كونك على هذا الوزن فلا داعي إطلاقًا من الريجيم القاسي إذا كان للناس! أو لشريكك! فقط كن نفسك، ولا تدع الفرصة لأي قريب أو بعيد أن يتحكم في تصرفٍ واحد منك، بيدَ أنه من المهم أن تضرب بالآراء السخيفة غير العادلة بالمرة عرضَ الحائط؛ كي لا تضرب بك هي عرض الاستقلالية وتنقسم

لشخصين لا يعرف أحدهما الآخر. ولا يهمك عطفهم إن كان موجودًا، ولا يهمك رحيله إن رحل!

فماذا يفيد من استرجاع عطفهم عليك؟ سؤالٌ مزيف! ضحكة مُختلقَة! أم عناقٌ بارد؟ لا يهُمُّ كم خسرت منهم إن كانوا أصلًا لا يلفتهم غيابُك! إذن لماذا أنت شارد تائه؟

ما زالت الأبواب مفتوحة ولكن إياك أن تطرق أبوابًا صُنعت من طين، أتعلم كم يتبقى الآن من عمرك حتى تنتظر من يمدُّ إليك يدَه؟ ألا تعلم أن الأشياء التي تصنعها بمفردِك تصنعُك!

اشرع من الآن وابنِ بنفسك الحلمَ الذي يثير شغفَك إلى الحياة ويستعيد إليك تلك الروح، روح الانتصار وعشق التحدي، وودِّع إلى الأبد هذه الفِكَر العالقةَ في ذهنك، ورحِّب بأيامٍ جديدة تثني في ثوانيها حبًّا صادقًا من نبعِ قلبٍ لا ينضبُ ولا يجف.

وقل للحياة بصوت يتبعُه الصدى: أنا أحب نفسي، وأكتفي معها بكتاب نقرؤه وكوبٍ من مشروبنا المفضل كل صباح نشربُه، ولا يهزُّني الفارق بين كلامهم وفعلهم! فالكلام لا يُشترى!

سمعت جدي زمان بِيقول

"كلام الليل مدهون بزبدة
يطلع عليه النهار يسِيح"
مفهوم عميق لمعنى ما
جسِّده بمثال بسيط،
لكن مُريح
ومُختصَر
ما فهمتهوش غير في الكَبَر
بينهي كتر البَلْبَلَة
ويحسم قيد أنمُلَة اتقالت
ما بين القَصد، والتلميح
..
هذا الكلام إن دل
فيدل يا سادة على سِن جدي المُعتبَر
على أمله ليَّ المنتظَر
إني ما اكونش فـ يوم جريح

وانسج بحسن ظني كَمالًا في اللي قال

واللي زمان اتقال

جدي قال:

إن الكلام حمادة والفعل حمادة تاني

ودا بأسلوب العَصر

وان السكوت عن الكلام المبتذل

وقت العتاب يُسمَّى نَصر!

وان الكلاب النابِحَة،

نادرًا جدًّا تِعُض

وان الرجال الصائحة

بدعاوي تدعو للعفاف

لا عمر كمالها المُصطنع

يمنع سيادتك م القبول

ولا عمره هيحوِّل عيونًا مُبصرة،

لعيون تِغُض..

..

الكلمة قوة، واحنا دافع
بتحوِّل السكِّير لنافع
واما تيجي تحب يا ابني
استغنِ عن زيف الوعود..
شوف يا -**ابن جيل**-
بيني وبينه عقود
كل البشر من برا ناس كُمَّل
جوا البشر معيوب، بيفنِّن التجريح..

لذلك، يا ضنا ابني
كلام الليل مدهون بزبدة
يطلع عليه النهار يسيح..
..
اعذرني سني أكيد كبير
والعُمر زاد بيني وبينك
باللي لسَّا فيَّ عندك
وقت غيبتي قول لي "**فينك؟**"

كلمتي على قد عقلي
والزهايمر خد مكانه
واللي فات من عمري مَنسي
واللي جاي مفقود أمانُه..
..
واللي كان.. واللي واللي
المهم.. خليك في ضِلِّي
انت بس اللي فاضل لي
سيبها حلقة في ودانك
وما تنتظرش نصيحة تاني..
اوعى يا ابني تكون أناني
وتِشبع الرغبات بـ"**كلمة**"!
-**اعمل**- اللي عليه هتقدر
فامَّا تمشي، هتبقى سالَمَة
..
دا اللي قاتل فيَّ أملي
واللي عيِّشني بجراحي

هي "**كلمة**"!
لما قالت "**مش هاسيبك**" من زمان
وبعدها بشهور سابتني
عشِّمتني بدون ما تفهم دمَّرتني!
كسَّرتني.. بَعد "**وَعد**"
يمكن العيب فيَّ لما
اعتبَرْت –**موتها**– بُعد

واللي خلاني ابقى جدك
كلمة من أبويا لأمي..

واللي خلاني ابقى جاهل
واقتل الإحساس بفَمِّي
هي "**كلمة**"!

لما حِلفت أبلتي في المدرسة إني ما نافع
وان أضراري ومساوئي كطفل أكتر م المنافع

..واترقعت علقة موت
كل دا علشان.. بِصُوت
قلت **"كلمة"**
وسط شرح
فهِّمتها إني مُهمل
واني جاهل جَمع، وطَرح
..
"هههه" ما علينا
ما عليك من طول كلامي
وابتسامي رغم وجعي
المهم لو هتسأل مين باقلِّد
أو زي ما بتقولوا **"قدوة"**
يبقى: عُمري.. أو تجاربي
أي حد زمان تاجر بي
أو سكوتي وقت حقي
وانتصاري وقت حربي
هو دا عندينا قدوة

مش بِكُترة المديح
وانت بتبرطم لغات
أو كلام عربي فصيح
واللي خدته طول دراستك
لسَّا سايبك صفحة بيضة
تشرب في الكلام وتمشي
الدروس الصح اللي
تجعلك إنسان صريح..
بس اوعى تنسى يا ابني..
كلام الليل مدهون بِزبدة
يطلع عليه النهار
يسيح...

* * *

أنا وما أريد حقًّا!

لا تكتب إلا عندما تستفزك عاطفة الكتابة وليس لترضي مستواك، كذلك لا تدَّعي أن تكون شخصًا غيرك مهما كانت صورتك سيئة، لا

تفعل شيئًا لأجل الناس ولا تتحدث بكل ما يكنُّه صدرك من أسرار وأحلام وقصص بلا شك هي مصادر قوتك.. لأن ما في داخلك لا يمثل جزءًا منك فحسب؛ بل يمثلك بالكامل، فإذا أخرجت منه بعضه فقدت بعضًا منك، وإذا احتفظت به سيئًا كان أو عظيمًا، مزعجًا أو مسليًّا، كيفما يكون لا يهم، ولكن أين يكون فهذا هو الأهم على الإطلاق.

تعلَّم أن كل شيء في الحياة زائل لن يدوم، فلا تعتَدْ أحدًا ولا تتخذ من ردود الأفعال منهجا ثابتًا يهزُّك تغيره، ألا ينتج تغيره من متغيِّر؟! إذن فلمَ تتشبث بحبل أنت على يقين أن يدًا غير يدك تمسكه وتتحكم فيه؟!

لا غنى عن الحب والتعاون والمشاركة الاجتماعية، بل وجعل أناسًا معينة رفقاء، عندما يفرحون نفرح، ومتى يحزنون نحزن وندمع! ولكن ما هو مؤسفٌ حقًّا أن ننسى مع كل هذه العلاقات والاندماجات الاجتماعية أنفسَنا، أن نكون متحدين كيميائيًّا لدرجة أن نكون مركبات لا تحتفظ عناصرها الأولية بصفاتها الخاصة المنفردة! إنها معاناة لا يدركها إلا من أدرك مرارة الفراق والخذلان، إذ يجد نفسه جليسًا لها كل ليلٍ بعدما خسر من الأسرار والتضحيات الكثير، الأكثر إيلاما حقًّا

ليس الفراق في حد ذاته، وإنما عدم قدرتنا على مجالسة ومرافقة أنفسنا بعده، عجزنا عن مداواة جروحنا وتضميد أي نزيف حدث جراء صدمة تلو أخرى! الأكثر إيلامًا هو فقدنا أنفسنا مع ذاكم المفقود، وحصرنا لما يمكن أن نعيشه ونشعر به فقط عند وجوده، بل في حالات معينة من وجوده.

كأن يكون راضيًا عنا أو لا يوجد بيننا وبينه خلاف أو غيره، هذه الروح العالية التي تحلق في السماء تحليقًا تهبط إلى الأرض طرحًا يُسيلُ دمًا إثر أي صدمة أو خذلان، ينجم ذلك عن جعلنا الآخرين أجنحة لجسماننا المسكينة التي لا تستطيع التحليق إلا بمحرِّك يأذن وقتما يشاء ويرفض وقتما نحن -**الطيور**- نشاء! هذي السيطرة اللامحدودة حدَّدتنا نحن بالفعل، وأحاطت تصرفاتنا بإطار من القواعد العاطفية والتصرفات الرسمية التي إن حاد المرء منا عنها لفقد توهُّمًا هذه العلاقة المدمرة.

ولعل هذه النقطة من أهم النقاط في اختفاء وضمور الثقة بالنفس من حين لآخر، تراني مثلًا لا أتأثر بمتغيرات خارجية وأكون كما أريد في أيام، وفي أخرى كل ما يخرج مني هو ما يريده الشخص الذي أمامي بل أتحول أنا كليًّا إلى كتلة متحركة بفعل قوى خارجية لا دخل لي أنا الكتلة

فيها، ووصفي بالكتلة هنا أراه قد عبَّر أشد تعبيرعما يدفنه صدري من وصف وعلامات أعرف بها نفسي حين تنفصل عني أو أنفصل عنها.

لا أدرك أنا -**الكتلة المتحركة بفعل قوى خارجية**- أنني لم أكن أنا ولم أتصرف مثلما أخطط دائمًا مع نفسي إلا حين أعود إلى غرفتي مجددًا وأجلس -**بمفردي**-.

وقتها فقط أدرك ما فعلت، وأدرك حجم الناس في حياتي بالنسبة إلى حجمي أنا في حياتي، فأجدهما يشكلان لبعضهما فارقًا كبيرًا لم يساهم في تطوره هذا إلا أنا. أقصد الكتلة المتحركة.

القلب تايه م الهُدى مسلوب
الحوجة مُرَّة والطريق مكتوب
والطبع غالب لو غيروه الناس
والحَق حَق لو زقَّلوه بالطوب..
والعُمر ماشي واحنا في امبارح
والعقل بيفكَّر حتى ولو سارِح

إيه زوِّد الأشواق

غير نار كلام جارح

إيه عطَّل الأيام

لما اللي جاي محسوب

القلب تايه م الهُدى مسلوب

العيب فضيلة والبريء معيوب!

رغم الحبايب والصحاب والأهْل

الوِحدة لسَّا طريق

والجرح عاد بالسهْل

والبُعد زي القُرب

والقُرب مش نِعمة

لولا الزَّمن أعمى

كنت انا نسَّاي

كل الحاجات بتغِيب

إلا القَصَب والشاي

كل البشر قُدرات

إلا أنا موهوب..

القلب تايه، م الهُدى مسلوب

الجايّ رايح

والنهار دا يا دوب

ملِّينا م التكرار والخوف من الإبداع

لسَّانا احنا زمان.. لسَّا الزمان بيَّاع

لسَّا النهار دا هباء،

بس اللي راح مطلوب

القلب تايه، م الهُدى مسلوب

العَتمة كَتمة والبَصير مغلوب

العِشرة قِشرة واللي خان محبوب

ليك حق ترمي كلام، تعتب عليَّ، تمِل

بس الغلط هدَّام

والرَّك ع الأسلوب..

القلب تايه م الهُدى مسلوب

الحوجة مُرَّة والطريق مكتوب

والطبع غالب لو غيروه الناس

والحَق حَق لو زقَّلوه بالطوب

أنقم الهِبات..

من أنقم الهِبات التي تعطيها إليك التجارب القاسية أن نتعلم من جديد كيف نعتاد على الصورة الحقيقية بدلًا من الجميلة التي رسمناها في أذهاننا.

خيالنا فقط هو من صوَّر إلينا هذه الأشياء النانوية وكأنها ناطحات سحاب، خيالنا فقط هو ما جعلنا رديئين أمام أنفسنا كلما ظنناهم الأعظم والأفضل، كلنا جميعًا بنو آدم، نأكل ونشرب وندخل الخلاء ونستحمُّ ونمرض وفي النهاية يأكلنا الدود، كلنا سواء لا فارق، الأفضلية فقط للخيال، نعم للخيال الذي كان العلة في هذه الانقلابات والتغيرات والانسجام ومن ثم النزعة التي تأخذنا حين نفيق.

لا أعرف الآن أن أحكم على حالي هذا بالحسن أو بالسوء، وما عدتُ أملك هذا الشغف في ملاحظة الناس أو إدراك ملاحظتهم، وما عدتُ أتفقَّد ولا أستوحش، تقريبًا في مرحلة الانقسام الشخصي التي كنت فيها

من فترة قريبة كان كل شعور وآخر ضده يملآني، كانا متساويين إلى حد اللافرق حتى لاشَى كل منهما الآخر.

كل ما أريد استرجاعه الآن ليست أنا القديمة؛ بل القليل من إحساسها.. لا والله، بل إحساسها الآخر لا يهم الآن.

لكن ما أعرفه يقينًا أن ثانيةً من الإحساس ذاك تساوي دهورًا من تبلُّد المشاعر هذا.

الفصل الثالث

"ولنا في الخيال مشاهد!"

المشهد الأول

"جمـــاد يشعـــر"

ثم وضعتُ رأسي على رُكبتيها ومَضيتُ في حديثٍ طويل، كانت كلماتي مُبعثرةً بعضَ الشيء كأنَّني لا أجد لها ترتيبًا، كانت كلُّ دَوافعي نحوَ هذا الحديثِ هو إخراجُ ما في نفسي من كَبتٍ طالت مدتُه، كلماتٌ خرجت كأنَّها كانت سجينةً لكبرياء نفسي وفَهم الناس! لكنَّ فهمها لي وشعورَها بما يَملؤني هو ما دفعَ تلك الكلماتِ أن تخرج. فأخذَت تَحنو عليَّ بلمسِها شعري ثم أمسكت بيدي قائلةً:**"امضي في حديثِك، طاب ليلُك وسُعِد قلبُك فإني لكِ ومعكِ حتى الصباح"**، فأطلقتُ العنان للساني وبدأت المحاولة في السرد: "إنَّ في الحياةِ ما يستحقُّ العَيش، وإن في العَيش ما يستحقُّ الصبر، وإنَّ في الصبرِ شيئًا أصعب ما يكونُ من كل شيء، جُلُّ الذي يبعثُ الوَحشةَ في نفسي شفافيةُ قلبي ولساني؛ كثيرًا ما أنتقي حروفًا تُرضيهم من التي ترضيني، وتهَدهدُ غرورَ نفسي وكبرياءَها، وكثيرًا ما ضحيت بكل القليلِ الذي أملُك لإسعادِهم، من حينٍ لآخر أراني غريبةَ الطباع فريدةَ القلب لا يهمُّني في الحياةِ سوى

رَسم البسمة على وجوهِ من حولي، ولكن لم أجنِ إلا تحطيم ألواني وأقلامي..".

وبدأت تترقرقُ في عيني دمعةٌ ولكنني تماسكتُ حتى أُكمل ما أقول، وبالفعل أكملت :"أبحثُ الآن في وجوهٍ منافقةٍ عن الصدقِ الذي نَدَر وفي القلوبِ الضريرةِ عن قلبٍ أتمنى لو أَبصَر، وفيمن أحبهم فلربما أجد مَن يُفسِّر قوانيني ويتحمَّلني عندما أغيب بدون إنذارٍ ويتفهَّمني عندما أعودُ وكُلي حنينٌ وشَوْق دون اعتذار، أنَّى أجد هذا والنقصُ فينا لا محالة؟! حتى أنا أخذلُ الكثيرين أحيانًا ليس لقصد منِّي وإنما **"قانونُ حياة"**، ليتني أعرف ما يُشعل الثورةَ في عَقلي ويشنُّ الحربَ بينَه وبين قلبي، فكيف لجسدٍ يحمل في ثَناياهُ عقلًا ناضجًا حَكيمًا في اتخاذِ قَراراته، عميقًا في تَفكيره، مُتمهلًا في الحُكمِ ومُدقِّقًا في النظَر أن يحملَ قلبًا يمْلؤه الشَّغَفُ والحنان ويسُودُه الطيشُ والجِنان، يحبُّ ولا يَكرَه، لا يُؤثر نفسَه على حبةٍ من خَردل، دائمًا يرى تحركاته من وجهات نظرِهم وميولِهم ولا يكترثُ إن كانت توافق ما يسعده أم لا... أولئك الذين حين أتذكرهم تضيقُ نفسي وتدور سلسلةٌ من الأحداثِ في ذهني كفيلةٌ أن تُشتِّتَه..."

وشَعرتُ بأن شيئًا يَتسَلَّلني ويستلُّ أنفاسي مِني، فإذ بها قائمة في عُجالة مُحضرة لي كوبَ ماء، ورأيت في عينيها القلقَ فأمسكتُ يديها

وطرحتُ الكوبَ أرضًا وقلتُ:"**هأنذا ارتويت!**"، ثم وضعتُ رأسي كما كانت، ووضعت يديَّ على وَجنتيها كأني أقول :"**أحبكِ**"

ذاك الارتواء المعنوي خيرٌ ألف مرة من ارتواءٍ ماديٍّ سهل الحصولُ عليه، وهذا ما تكمُن فيه مُشكلتي الكُبرى، أراني أحبُّ بطريقةٍ لا يفهمُها أحدٌ، ومن يفهمونها ليسوا لي ولا أنا لهم، دائمًا أبحثُ عن الحقيقةِ ولا أقبل بغيرِها، ولا يُحركني شعورٌ زائف، أو عادات متكررة، أو كلام مُتملق، سُؤالي عن ماهيَّة كل ما حولي وكل ما هو آتٍ وماضٍ يُشعرُني بالتشتُّت والحِيرة، بل يَدفعُني إلى تفكيرٍ جنوني.

فأكملت حديثي ناظرةً إلى عينيها اللامعتين:"الكثير هُنا حولي، كثيرون جدًّا، لكن ما رأيت فيهم من يحفظ مَلامحي ويعلم كيفَ يُسعدني، ما رأيتُ من يلاحظ وجهيَ الجاهمَ إن أحزن، وقلبي الواجف إن جاشَت الهمومُ به، لقد خالجتني الشكوكُ حتى ظَننت أن العيْبَ مني..."

وهنا خَفُتت نبرةُ صوتي المُتماسك، وساد الصمتُ لبُرهةٍ وهي تُصعِّد نظرَها إليَّ كأنَّ الأملَ اعتراها، لأني أبوح بما كنت أُكنِّه منذ زمن وقالت: دَعيني أُكمل لكِ حديثك الشيِّق المؤلم، إن قلبَك يُغدِق روحه على من يحبُّه، والأشدُّ وقعًا أنك راضية بذلك وعلى يقينٍ أن كل ما تفعلينه سيُردُّ

إليـك يومًا ما، لكن لا تنسي أن لكلٍّ منا مَساوئ ومُنفِّرات! لعلَّك تذكُرين أن ما جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان، فما أحراكِ بذلك! ويجب عليَّ أن أُجْبِهَكِ بعضَ الشيء فأقول إنك تُصعِّبين الأمورَ عليكِ، وحين تفخرين بمصاعبَك يكون ذلك زهوًا أجوفًا؛ ليس هناك ما يستحقُّ هذه الوقفة الحاسمة، خذي الأمورَ على سجيَّتها؛ فالفلسفةُ الدائمةُ لا تُجدي إلا بإنهاكِ الرُّوح ورَغبتها في الرَّحيل الأبدي، فلنذهب الآن إلى النومِ ونتناسى ما قيل بيننا لنصبحَ على خيرٍ من ذلك كلِّه...

فأحببتُ أن أحتضنَها وأضمَّها إلى صَدري، فَوجدتني أحتضنُ وسادةً لا تفارق سريري، أدركتُ حينها بأن نفسي هي ما شاركتني الحديثَ، وأنني أنا من قُمت لي حين تقطَّعت أنفاسي لأحضرَ كوب الماء، فمهما سَئِمت من حياتي سأدافع عنها لآخرِ لحظةٍ؛ فأنا -**كإنسان**- لا أقوى على الموت ولا أجرؤ على المبادرةِ معه، وإنما حيلتي في أيامٍ أقضيها على أتمِّ الثبات.

وهذا.. وقد كانت ليلةً مليئةً بالأسمار، عرفتُ فيها معنى أن تكون وحدك وأنت لست وحدك وأن تكون مُحاصرًا بأعدادٍ من البشر مهولةٍ وأنت للأسف.. وحدك.

❋ ❋ ❋

المشهد الثاني

"دمـوع كـــاذبة!"

بعدما هدأت أمواج البحر عن الضجيج الذي كانت تُحدثه.. نطق لسانُها بأول كلمة منذ أن جلست واضعةً أسفل قدميها في مقدِّمة البحر وقال: افتقدتُك.

افتقدتك كثيرًا يا من تُريح نَفسي وتعانق أحزاني لتجعلها جزءًا منك! إن سمعت قلبي الآن ستُشفق على ما به من جروحٍ وكدماتٍ لم يشفِها الزمان ومرور الناس.

لقد تغيَّبت عن عقلي عمدًا كأنك تعلم ألَّا حياة لي بدونك، فرأيت وجهك في كل الوجوه.. وسمعت صوتَك في كل الأصوات حتى تيقنت أنك جزءٌ مني، بل تكاد تكون أنا..

ولكن كعادتي يغلبني التساؤلُ، فكيف لك أن تكون كل ذلك وأنا لم أَجِدْك؟! حتى لم أتخيَّلك في ذهني مرَّةً واحدة.. كيف أسمح بإعطائك هذه المكانة العظمى في قلبي وأنت لم تدخل حياتي ولا حتى خاطبتُك يومًا؟!

ثم ثارت أمواج البحر مُحدثة ذاك الضجيج الذي أخفى صوتَها وثارت أمواج قلبِها المضطرب كالبحر، وتعالت عن صوت أمواجه حتى أخفته..

وقالت في تكبُّر واكتفاء: لن أكونَ بعدَ اليومِ صدًى لصوتِك، ولا ردًّا لفعِلك، أنا لن أنتظرك لأن أمِّي علَّمتني ألا أنتظر المستحيل، إن كنت جزءًا منِّي فأنا التي جعلت منك جزءًا، وأنا الكل..

وسقطت قطرةٌ من عينيها في البحر فأمطرت السماء، كأنَّ الله يخبرها أن الدنيا بأسرها تحزن إذا حزنت، وألَّا أحد يقدر على تحمُّل مسؤولية تعاملها وفكِّ ألغاز قلبها.

وأمسكت بحقيبتها السوداء كلون حذائها، وألقت بنفسَها في البحر؛ تبحث عن تلك القطرة التي أوضحت وفضحت ضعفها أمام نفسِها.. كانت تسبح وتبكي وتُقنع نفسَها أن هذا الماء الذي على وجهها هو ماءُ البحر وليست دموعًا.

❋ ❋ ❋

المشهد الثالث

"عتاب لا أرجو فيه عودة"

أنا أحبك للدرجةِ التي تجعلُني أسامحُك كلما أخطأت، وأحافظ على مكانتِك عندي لترى كم كانت حقيقيةً عندما تعود ولا تبالي بها حتى بعدما علمت، وتجعلني أتظاهر بالاكتفاء على الرغم من أنك تنقصني وأخفي من الناس مدى سوئك وقسوتك، خوفَ أن يعرف العالم كمَّ وجعي فيردُّه إليك كنوعٍ من كما تدين تُدان، وأنت أنانيٌّ للدرجةِ التي تجعلك تتجنب إيذائي، ليس خوفًا منك عليَّ أو مراعاةً منك لمشاعري التي تجلَّفت بأفعالك اللامبررة غالبًا، ولا اتقاءً منك للحظات البُعد التي كنت جريئًا فيها وواضحًا أكثر مما ينبغي وكنتُ أتقيها أنا لكي لا تخمد نار الحب ويهدأ ولعُ الاهتمام ولا أكون بالنسبة إليك محطة خسارة فادحة خسرت فيها نفسك معي؛ بل لأكون الركن الشافي والأصل الصافي، ولا لأني قاسيتُ الكثير في قربك -**مثلك تمامًا**- الذي كان مليئًا بالنواقص التي لم أعبأ بها يومًا، والذي أخذني إليك مني ومن الناس والأشياء.. الأشياء التي كانت تنقصني وأنقصها، وتحدَّيت من أجلك المنطقَ قبل كل رجعة؛ فجعلتك مَنطقِي، وتحدَّيت الخوف من متابعة

البقاء ومواصلة شكوكك المستمرة فيما تعب مني إثباتًا.. القرب الذي كان بمثابة كفاح، ولا لأنك رأيت مثلًا أنني لا أستحق منك هذا أو كل هذا.. ربما كنت لا أناسبك وأقنعت نفسَك مرارًا بأنني نصفك الثاني تمامًا كما كنتُ أفعل، وربما كنت أبالغ أو بي مزيد من كل شيء وهذا لو تعلم كان معك فقط، وربما كنتُ اعتياديةً بدرجة لا تُطاق، لا شيء جديد معي وفي مرافقتي، لكن الشيء الوحيد الذي أثار في عاطفتي الانبهار.. أن حبي لم يكن شفيعًا لي؛ بل كان أول ما تدوس عليه قدمُك.. حدثَ ولم تضحِّ لأجلي بشيء ويومَ أن ضحَّيت.. ضحَّيت بي أنا.. كُلي، بكل الأشياء التي كانت تحوز اهتمامي وتخطيطاتي لأسعدك.. كنت أستحق منك أفضل، أو كنت أستحق أفضل منك! وضعتُك في مشاهد الحاضر والمستقبل وبكل جرأة نزعت نفسَك منها وتخلَّيت عن دورك البطولي فيها.. صنعتُ مشاهدَ لا تليق إلا بك ولا يليق بها غيرُك، ولكنَّك ثابرت واستمرَّيت في اختيار البُعد رغم أنك لا تثابر على الإطلاق.. أخبرتني بأنك ستبقى إلى الأبد وعلمتُ الآن أن الأبدَ بالنسبة إليك هو ما يناسب طاقتك وتذمُّرك على كل الناس التي جعلت منك نفسها، الأبدُ كان يومين ربما أكثر أو أقل، لم تؤذني لأنني كنت أستحق نهايةً طيِّبة أو وردًا على مقبرة حبنا الذي دفنته بيديك يذكِّرني

أنك كنت شيئًا جميلًا في حياتي، لكنك دائمًا أبدًا منذ أول خيط نسجناه في حبلِ الوصال كنت تفضل البقاء بعيدًا ووحيدًا، لم تؤذني لأنك حافظت على عِلمك بنقطة ضعفي وأسراري التي لم أُبُح بها لغيرك، ولم تبالِ بالجديد منها والتالي من أخبارها.. لكنك لم تؤذني خوفَ أن يردَّ إليك الزمانُ هذا الأذى أضعافًا مضاعفَة..

غريب أن نكون اثنين، وكلانا يفكر في مصلحتك أنت!!

❋ ❋ ❋

مشهد خيالي إنساني

عندما يتغوَّل المجاز على الحقيقة..

في مدينة **"فاسيلو"** كانت تعيش الحيوانات والطيور في سلامٍ يعمُّ أرجاء الأماكن، فلا أسدَ يستخدم أنيابه الحادة في التغذي على فئرانٍ صغيرة، ولا ذئبَ يعوي كل ليلةٍ ويزعج النائمين، ولا فيلَ يستضخم حجمَه فيمشي على ضِعاف النمل الصغير، ولا خِراف تتشاجر على السُّلطة، فالجميعُ يسير في خطوطٍ متوازية، يعرف كل منهم حقَّ الآخر عليه، والكبير منهم والصغير يسعى إلى المصلحة العامة وهي إعلاء شأن مدينة **"فاسيلو"**.

إلا أن لكل لوحة بيضاء نقطة سوداء تشينها، ولكل حقلٍ أخضرَ ينوبُ إلى زرعه الماءُ ديدانُ أرضٍ تفسُد النابت منه؛ ففي يوم من الأيام سمعوا صوت أقدام تدبُّ في الأرض عدوًا كأنَّ ذعرًا أصابها من أشباح مخيفة وإذا بهم يرون كائنًا غريب الهيئة مثير الانتباه صغيرًا إذا ما رأيته عن كَثَب، وتستفحل حجمَه كلما ابتعدت عنه، يرتدي بنطالًا بنيًّا يبدو عليه شيءٌ من التمزيق، وقميصًا ذا زرائر متفتحة كأن مرتديه كان يجري،

والأغرب من ذلك أصواتُ أنفاسه المتلاحقة الزافرة والشاهقة؛ إذ كان يلهث، وفي غضون خمس ثوانٍ اجتمع الناس عليه يتفحصون ويدققون النظر ويفركون أعينهم من شدة الانبهار، وتقدم سنجابٌ صغير نحو الكائن الآبق يتسلق عليه كما أقدمت القطط الصغيرة تلف ذيولها حول قدمه أما الببغاء فلم يصمت لثانية، وظل يستجوبه ويستشفَّ معلومات عن هويَّته وسبب فعلته الحمقاء منه ولكنه لم ينطق؛ فقد تدمرت الحقول التي داست عليها قدمُه وتقطعت أنصاف الأشجار حول ديارهم الصغيرة، وانزعج النائمون من ضجيج وقع أقدامه على أسقف بيوتهم، بل تهدمت بعض الأسقف وسقطت قدماه ساحقةً ما كان منهم على الأسرَّة وماتوا؛ فقد قفز فوق سياج المدينة ولأنه لا يعلم معالمها الجغرافية فلم يُحسن وقفته، أما عن يديه الكبيرتين فقد أطاحت ببعض العصافير، وطرحت عددًا كبيرًا من النسور معقوفة المخالب أرضًا، وأسقطت لـ **"الحمار النجار" -وكان هذا اسم وَرشتِه-** بابَه الذي باتَ يصممه شهورًا وشهورًا..

فما كان منهم إلا أن وضعوه في قفص الاعتداء، قفص التهجم الذي يعني في عاداتهم أنه حبل المِشنقة، وحينذاك اجتمع الأسد الذي يمثل

دور القاضي في المحكمة كما وقف الشهود وهم المدينةُ كلها تقريبًا، وحضر بعضُ المستشارين والمحامين من الصقور الجارحة وغزلان الداما والذئاب الذكية، وقال القاضي بحنكة شديدة: هذا وقد تم القضاءُ على كل ما شيدته الأيام وبنته السنون، سورٌ يُهدَم بسبب هجمةٍ مفاجئة من كائنٍ فوضويٍّ لا نعرف له كوكبًا، وحشائش تُدهَس وأطفال تُذعَر، لا شك أننا جميعًا نخطئ حد الإجرام ولكن لا مفر من العقاب إن وَجَب مهما حاول المجرمُ الهروب.

فيقول الكائن المنبوذ "بثوب المتهم": والأكثر من هذا أن النفس اشتاقت أخيرًا لِلِّقاء بعدما شهدت بعينها زيف هذه الدنيا ونفاق سكانها حينما عقدت مقارنة بين الصدق الحقيقيِّ الذي هو من عند الله وبين الصدق المكذوب الذي من دونه.

القاضي: قد تنقضي حياة بأكملها ولم يلفظ صاحبها بقولٍ قط يفسر ما بداخله.. لا يُسهب ولا يوجز.. ولكن ما المانع اليوم أن تخبرنا بقصتك حتى نستطيع الدفاع عنك!

المتهم: وما المانع من خيار واحد دون ندم؟ أيُخلَق الدخانُ من عدمٍ سيدي القاضي؟

ما المانع لو كنا في حالٍ غير هذه! لا نتألم ولا نتحدث ولا نشتهي الطعام ولا نعبأ بالنوم ولا نفقد ولا نفتقد ولا نتفقَّد ولا يقتل كل منا الآخر...

قاطعته النيابة: هذا يا سيدي القاضي وقد رفض المتهم لأول مرة في تاريخ القضاء تبريرَ جُرمه!! إنه ليس بعجزٍ عن الوصف بل بتجرؤ على تحمل عقاب وحُكم سيادتكم هؤلاء هم أصحاب الخبرات الإجرامية الطويلة يصطنعون اللامبالاة حتى يزيحوا الظنون عنهم ويدحضوا الشبهات!! قال هذا بصوت به جَلبة،

ويُسفِرُ الأسد عن أنيابه قائلًا: للمرة الأخيرة.. سأمنحك فرصة للحديث لكونك بلا مُحامٍ معك أو شهود.

المتهم: لم يلفظ ببنت شَفه.

النيابة: ها! أرأيت سيدي القاضي! هذا الصعلوك أتى لمدينتنا لإضاعة وقتنا وإشغالنا عما نحن فيه من صُنع الإنجازات.

المتهم: على رِسلِك حضرة النائب، أبلِغني ريقي حتى ألفظ بما تشتهون سماعَه ليغسلَ حَوْبَتي سيدي القاضي..

أنا مخلوقٌ، أفضل ما صنع الله على وجه هذه الأرض، فقد قال عني في القرآن:"**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**"، كما أنه استخلفني في الأرض وحمَّلني الأمانة فيها حين ذكر:"**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**"

وهذا ما جعلني أضعف من حَمل هذه الأمانة المليئة بالحَزْن، ضاقت عليَّ أرضي وأشفقت مما رأيته في قلوب الأناسيَّ ومن جوارحهم.. من يبذل الوسعَ كله ليس ما فيه فقط فلا نكران لسعيِه، لكنَّ المقصرين تقام عليهم الحدود وتُرتجى لهم الذبائح، وكل الألسنة تشارك في مصائبهم يشمتون..

لا أنكر أن منا الصالح، لكنَّ الطالح أنسى العالم أن الخير في نبيِّنا وفينا إلى يوم القيامة..

هانت في قلوبنا الآخرة، وتسلَّل حُب الزوائل والنواقص إلى أعماق ما فينا..

لا تَلُمني سيدي القاضي.. ما فعلته في مدينتكم: **فاسيلو**، إن فعلته في إحدى ضواحينا هنالك أصنف من أقل الناس خطرًا وإفسادًا، لكنني

أدرك -**الحقَّ**- أن من الحيوانات بل الحيوانات كلها لا ظلم ولا إخلال في عالمِهم؛ العقاب أردع.

القاضي: إذن! أنت الإنسان!

المتهم: نعم أنا الإنسان.. كما يكون المسلم مسلمًا ملتزمًا، فقط إذا بانت أفعاله وأقواله مُسلِمة؛ فيكون المخلوق إنسانًا، فقط إذا بانت أفعاله وأقواله إنسانيةً، أي: لا حرج إن صنِّفتَ إنسانًا شَقَّاقًا بحيوانٍ يتيه في أرض الله عبثًا بلا مرجع أو سلالة، ولا شِقاقَ إن صنِّفت حيوانًا له مبادئ تحكُم ما يتصرف بإنسانٍ آدميٍّ رشيد..

النيابة: وما حقَّ هذه المرتفعات التي هُدمت من جَرَّاء فَعلتِك هذه؟!

المتهم الإنسان: على استعدادٍ أن أدفع تعويضًا ماديًّا، أو أشارك بجُهدي في إصلاح ما أُفسِد مني، لكن لي عند سيادتكم شرطًا واحدًا أبتغي تحقيقه..

ردَّ أحد الشهود الأرانب منفعلًا: "ويحك!!! أتشترط علينا وأنت متهمٌ فينا ولنا حقٌّ عندك؟!

فأمر بطردِه القاضي؛ لتدخله فيما ليس له به علم، وأعطى إيحاءً للإنسان المتهم بالموافقة على إكمال حديثه..

فأكمل يرتجف:"أودُّ أن تقبَلوني عندكم، ضيفًا أو **"واحدًا منكم"**؛ سئمتُ العيشَ في وَسطِ من يشبهونني ويتبعوني وأتبعهم، نحن لا نكون سيئين وحدنا، لكنَّ مخالطةَ السيئين تجعلنا كذلك عندنا وفي أعينهم".

شَعَرنا في القاضي بشيء من الموافقة على شرطِه أيضًا، لكنه كعادته عادلٌ لا يأخذ حكمًا إلا بالرأي الأرجح والأكثر تأييدًا.. وأشار إلى زملائه الجالسين وتحدث معهم بصوت منخفض عما يراه صوبَ شرطِ الإنسان المتهم، وأظن أنهم وافقوه، وفورَ أن انتهى من مفاوضته الوجيزة، **قال**: سأطرح سؤالًا على كل الحضور -**صغيرهم قبل كبيرِهم**- وعليه آخذ قراري: أتوافقون أن تقبلوا هذا المخلوق إنسانًا يشاركُنا العيش ويكون واحدًا منا؟!

فأجابوا: نعمعم مصفقين.

وكأنهم كانوا مستعدين لإجابةِ مثل هذا من سؤالٍ، وبَدَت البشاشة على الإنسان البريء، واستبشر بتغيير جذريٍّ قد لحق حياتَه ونجا به من العبث الذي كان يتغمَّده.

وبعد أن أعلنت المحكمة انتهاء هذه الجلسة الغريبة، قام المصورون والصحفيون من القِرَدة والقطط والضباع بتصوير لقاءاتٍ تلفزيونية مع

فَردِهم الجديد الذي لن يتكاثر معهم وسينتهي بعد فترة وجيزة أحبَّها تكون بإرادته.. وكرامته.

وبمرور الشهر والثاني.. تولى مناصبَ صغيرةً وكبيرة، لأنهم رأوا فيه محلًّا للثقة والائتمان، إلى أن أصبح قاضيَ مدينة **فاسيلو** بعد عامٍ كامل من إقامته فيها.. وفي أول يومٍ يتقلد فيه وظيفته الجديدة إذا بهم يسمعون صوت أقدام تدبُّ في الأرض عدوًا كأنَّ ذعرًا أصابها من أشباحٍ مخيفة، فعرف القاضي الإنسان أن هناك إنسانًا ما في حقلٍ خَرِب سيكون قاضيًا مكانه في يوم ما؛ لأننا لا نكون سيئين وحدنا، لكنَّ مخالطةَ السيئين تجعلنا كذلك عندنا وفي أعينهم.

راوي المشهد/ حيوانٌ مجهول السلالة.

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع

" مـــع الله..."

- باقة شُكر:

رسالتُها الأولى لصاحب الفضل الأعظم.. إليك يا الله، لقد وصلتُ إلى مرحلةٍ انعدمت بها ثقتي بنفسي من جرَّاء ما يحدث إذا وثقتُ بك.. لا أدري لماذا تُنصفني دائمًا وأنت وأنا نعلم بأن مثلي لا تستحق الإنصاف إلا في العقاب.. كيف أن كلا الأمان والعِزة حينما أحتضن الأرض مذلةً يكونان جزائي لا الطَّرد! أدركت من المواقف الأخيرة أنَّك كنت أكرم مني مرارًا لما ظننتُ بعدي عن ليل المعاصي الحالك فضلًا مني.. وكنت أرحم مني بحالي التي خرَّبتها وشوَّهتها ببُعدي عنك.. وبمجرد أن قبلتَ مني التضحية بأقل القليل الذي أملك من مقاومة عصيانك رأيتُ كل الطاعات تلاحقني في كل مكان.. كأنك تخشى عليَّ سخطك على الرغم من أنني لم أخشَه، ولم يكن في حساباتي غير رحمتك هذه التي تبهرني بها في المأزق تِلو الآخر.. نعم أنا مذنب! لكنني يومًا لم أنكر، ولم أهمل باقي جوانب العبادة التي قد تجرُّني إلى طريقك جرًّا وزحفًا.. تعلم يا الله أنني ما كنت هذا الجريء على معصيتك، ولا الذي ينتهي منها دون أن يستغفر ويعمل الحسنة التي تدفع بها. فاغفر لي، ليس بحق أنني أستحق الغفران؛ إنما لأنك الكريم..

أعتذر عن كلماتي المبعثرة الركيكة أمام جلالتِك.. وعن تلعثمي إذا حاولت وصفك.. وعن عجزي كلما حاولت أن أحمدك، تثبت لي في كل شهيقٍ وزفير أنني في حاجةٍ إلى قربك ورقابتك أكثر من حاجتي إلى التواري خلف أسوار الظلام..

منذ عامين كنت لا أجد فارقًا بين الخير والشرِّ في البلاء إن كانا يشعراني بمرارة البلاء وعلقمِه.. لكنني الآن أثق تمامًا.. إلى درجةٍ ستجعلني أسجد شكرًا إليك كلما ابتليتني حتى ولو كان البلاء عقابًا.. لا عُدت أبالي بما يريحني من عدمه.. وأصبح منظوري الأول والأخير إن كان يرضيك أم لا..

ودائمًا أسأل عقلي:

- أجبني بالمنطق لا بالدين، لماذا يجب عليَّ ألا أعصي الله؟ **فيجيب:** لأنك تعصيه بنعمه.

عارف اني ما استاهلش
عفو تاني أو سماح
عارف ان القلب قاسي
زاد في كِبره وأصله راح

عارف اني لو مكانَك
"دا اللي هو مستحيل"
عمري ما اغفر للي سابني
وراح لغيري وشاف بديل
ولَّا أعفو عنها غلطة
وكل مرة يقول لي شيل
عارف اني لو مكانك
كنت خاسف بيَّ أرضك
واكتفي بتالت سماح
عارف اني ما استاهلش
عفو رابع لو مُباح..

بس نفسي فـ فرصة تانية
قصدي عاشرة أو أخيرة..
أغتسل فيها وأنضف
من ذنوب وعيوب كتيرة..
دمعي نازل.. وقلبي رافض

عمري ما قبلت العصيَّة
كل مرة فيها بابعد:
أمر نفسٍ غير سويَّة.
..
عارف اني ما استاهلش
عفو تاني وقول سماح
بس طمعي فيك لساني
لما صوت الكِبر راح..
اتصلت يا رب بيهم
كلهم بيشوفوا غيري
افتكرت الباب لتوبتي
منتهايَ بعد سيري
وقفت افكر قد إيه
الزمن واقف مكانه!
يُعقل اني عنده تايب
وكل فعل وله ميزانُه
واللي فات م العمر أكتر

م اللي يمكن فات أوانه
واللي فات أوانه إني
لسَّا فاكر الوم ضميري
وقفت افكر قد إيه
حقُّهم ليشوفوا غيري!
بعد إيه؟
العقاب باين يا خايب!
كلهم بهدوء بيمشوا
صحِّتك ما بقتش صالحة
ولسَّا عايش تحت عرشُه
وقفت افكر قد إيه
بتعمل ايه؟
واقف هناك فيك منُّهم
كلك بجاحة وعين قبيحة
اللي عصيته عشانها جت لك
تحت رجلك كالدبيحة..
عصيته ليه؟

لما عارف إن ندمك وقْعُه ألدع م المرار
وقتها قليِّل عليها.. وكان بيكبر في القرار
أوضة ضلمة، وفِكر فارغ
جسم تابع كالحمار
أهل ناموا، صحاب كتير
رغبة فوقها ألف لأ..
لو كان ساعتها فيه ضمير
كان صوتها شقِّ الشرِّ شق..
وتناسيت وتغابيت
واتسحبت وراها مَعمِي..
وهو شايفك بينادي لك
لحقت تنسى يا عبدي نِعَمِي؟
حتى كارمك وانت ناسي
أكسجينك.. نبض قلبك.. صحِّتك
ونور عيونك.. لمستك.. فتحات جفونك
كل دول بيهم عصيتني! رغم إني كرمت بيهم
..

"لا تبالي"

مندمج دلوقتي جدًّا

كل شيء دونها ما شفتش..

حذَّرك بغياب عزيزك

من غبائك ليه ما خفتش؟

كنت خايف ع فكرة

بس ناكر لاجل تِكمَل..

وبعدها ربك يسامح

رحمته لحالتك هتشمَل!

ولا اقول لك! لأ ما خفتش

وكل شيء دونها ما شفتش

لو تخاف **"الرد"** عمرك

ما هتقدر يوم وتفعل

لما حد يشوف مشاعرك

ويتجاهلها مش بتزعَل؟

..

بينادي لك

لسَّا بينادي وانت بكل ندهة تزيد بُعاد
شيء غريب المرء يعشق كل ما دون السداد
أو طبيعي! طبعنا.. هنقول له يعني بإيدنا إيه؟
لأ بإيدك.. كان بإيدك.. تكتفي حتى لِمرة
وتوهب الباقي جهاد
..
جزء فيَّ عنيد وصابر
لأني رافض أودَّعَك
قوم صلِّ يلا واتعظ
شوف حاجة عدلة تنفعك
قوم بين إيديه قول له يا رب
يبعت مزايا تشجعك
ويومين في قوة واكتفاء
والله رافض الانسياق
مش هاعصي تاني ومش هاسيب
ترجع لنفس الدايرة ما انت
مريض بتجري ع الطبيب

والله رافض اكون غلط
والله رافض اكون غلط
والله رافض اكون غلط
حتى رافض ما اتعاقبش
بالقرب بابقى طير مُحَرَّر
وبالبعاد بـ 100 كلبش..
واروح واجي واتوب وارجع
واتشفي وبنفسي باوجع
ضعف خوف جهل وغباء
والله رافض الانسياق..
فيَّ حاجة حلوة يمكن
بس مش لاقية براح
وفاكر إني ما استاهلش
عفو تاني أو سماح
بس طول ما فيَّ نفسي وأكسجيني وصحِّتي
طول ما بيَّ فيك أمل إنك هتغسل صفحتي

فدائمًا -**أعزائي القراء**- مهما بعدت بكم المسافات عن الله، دائمًا هنالك مخرج ما دامت الأنفاس فينا تتلاحق:

أعجزتَ عن تدبير أمرِك مرة
ورأيت عونَ الله حولك يسَّرَ؟
والعُسرَ يسرًا والمرارَ حلاوةً
والقلبَ أمسى لاجئًا مُتحرِّرا؟
كم مرةٍ جيء الهناءُ وذُقتَـه
من بعد ما جاء الشقاءُ ودمَّرَ
كم مرةٍ كان الإلهُ فوق الرجا
فَرآك من بعد افتقارٍ شاكرَا
اليُسرُ في ظلماتِ عُسرٍ نيّـرٌ
لكنَّ ضوءَ الشمسِ ليلًا لا يُرَى
كل الخطايا للمزايا مُرشدٌ
فالطفلُ يحبو ثم يمشي فاخرًا
اترك مِن الأحباب مَن
يجد المحبةَ إذ تُباعُ وتُشترَى

وارفض حدودًا إن تعق في مودة
الحبُّ يبقى والكرامة تُنبرَى
يا صاحِ لا تكن البديلَ واعلم بأن
لولاك نصفٌ ما كان حبُّك يُزدَرى
شَقَّ الطريقُ وبالحجارةِ زاخرٌ
ولَّى الرفيقُ وقت الصِّعاب وأدبَرَ
إن كنت للأيام تنكرُ فضلَها
فاطلب قليلًا من خشاشتها ترَ
والله إنَّ الأُنس في نعمائِه
عجبًا لمن فقدَ الكريمَ وأبشرَ.

* * *

محطة: الفَقد الأبديِّ.

مشهد: تأمل الموت.

نقطة الضعف التي يجب بحقٍّ أن تكون.

هذه الصباحات المتلاحقة سريعًا كأنفاسنا، والليلة التي تتلو الأخرى ببطء كخطواتنا، والأيام التي تأكل فينا، والسنون التي ستنتهي بنا حتمًا

إلى حافة الهلاك.. أو النجاة، مع جل دقة من دقات ساعة الحائط التي لا تلفت لها بالًا إلا حين تذكرك لوقت الطعام أو المسلسل المفضل والبرنامج الأقرب لقلبك، هذه الدقات تترنم عليها دقات قلبِك، لتتشبع من رقصاتها المحدودة والمعدودة عليها، ثم ليقضي الله أجلًا مكتوبًا كنت تغفل عنه، وهذه الأحلام التي كدت أن تموت من أجلها تضحيةً وتفانيًا، والأوهام التي شُغلت بها عن الحقائق، والهواجس التي انتابتك بدلًا من الأذكار، وتلك الأغنيات الجميلة اللعينة التي تتراقص عليها حين تسمعها حتى وأنت جالس ثاوٍ في مكانك، وهذا المحبوب الذي أرَّق عليك ليلَك وأخذ من دموعك ما يكفي لحفرِ قبرٍ تدفن فيه ماضيك وماضيه، وهذا الابن الذي عشت حياةً كاملةً تتمناه، وهذا الابن الذي عشت حياةً كاملةً تتمنى هدايته من شدة عصيانه لك، وهذه الصديقة التي تمنيتِها كثيرًا واعتبرتِ وجودها الغائب فترة مؤقتة لكنها ازدادت عن الثلاثة أشهر، أما هذه الصحة التي أفنيت عليها ألف صحة وصحة كي يندمل ما أُتلف فيها وما فُقِد، حتى غائبك الذي لم يَعُد ولن يعود بَعد، وطموحك المنتفخ والمحلق في السماء السابعة وتظن نفسك قد نُصفت وكُرمت به يا مسكين، هذا الزوج الذي تزوجتِه إرغامًا،

والأهلون الذين فُرضوا عليك دون اختيارٍ منك لأيهم أصلح أن يكون أهلك! ووطنك! ولسانك بين الناس!

وهذه الشهادات الجَمة التي حصلت عليها في الكارير الفلانيِّ أو حتى في الأولومبياد، وجسدك الذي تتباهى وتتباهين به، وعيناك اللتان ظننت أن الدنيا كلها محصورة فيما ترياه، وأن هذه العينين الخضراوين ترى منهما العالم ومعاناته وانتصاراته بتاريخه وحاضره، وقدراتك الخارقة التي تميزت بها، وتوقعاتك التي لم تَخِب مرة، وعلاقاتك الناجحة، أو المهلِكة والمرهِقة...

وحروفي الباقية التي لم أكتبها بعد، كل هذا له حد ونهاية، كل هذا سيأكله ويخلصك منه الموت، أينما كنت ووقتما تكون ولو كنت في برجٍ مُشيَّد، كل هذا السابق نهايته التراب.

مشهد مُذهل! لحظةُ حملِك على أكتافِ أُناسٍ سيُحملون ولو بعد حين، منهم العاصي والظالم وضعيف الإيمان ومنهم من تورَّمت قدماه ليلًا من كثرة الوقوفِ بين يدَي الله.

حقيقةً أُصابُ بالرعب، حين يتمثَّل هذا المشهد أمام عيني، وأسمع ذاك النحيب والصَّريخ والبكاء دون تحكُّمٍ وتفكير.. حين أتذكر أن فلانًا

هذا قد انتهت فرصتُهُ من الدُّنيا وأنا ما زلت في فرصة! لا أعرِفُ كيف أستغلُّها أو متى ستنتهي!

وبعدها.. يتناسَونه الأهلُ والأقاربُ والأصحابُ بمرورِ السنين.

ويبقى كذكرى عابرة، كورقةٍ كانت يومًا ضمن صفحات هذا الكشكول ولكن مُزِّقَت دون إرادتِها في وقتٍ يكاد يكون غيرَ مُناسب.

كريشةٍ.. ظلَّت تحلمُ بالتحليق في الهواء لكن أرقَّ النسائم طرحتها أرضًا!

سيُحاسب وحده، ويُبعَث وحده، ويأكله الدود وحده.. وبعد حينٍ يُصبح مزيجًا من طين مع تراب بإضافة عظمٍ رميم.

فلا تنسَ الله، ولا تنسَ الآخرة، ولا تنسَ نصيبك القليل من الدنيا المقترِن فقط بالآخرة، فالكل فانٍ إلا وجهَه، وكل ما تتعلق به زائل.

واعلم أنَّ "لا راحة" في الدنيا، وأيضًا ليس فيها ما يستحق العناء!

وعلى الرغم من كل الأدلة التي تثبت وجود الله، فما زال هناك من يشكك في وجوده! وهو الموت أكبر الأدلة! ذاكَ الاطمئنان الذي نحصل عليه بعد كل صلاةٍ من أين أتى! أخبروا المُلحدين أنه لو بقدرة الطبيعة أن تحفَّنا بهذا السكون النفسي بعد السجود لكان بقدرتها أن ترزقنا إياهُ في كل وقت قبل الصلاة!!

أنتَ إلَهي وأنت جاهِي

أنتَ رَحْبي.. أنت صَحْبي

أنتَ أهْلي عِند وَهلي

ولي أُهُولٌ، مُؤهِّلي [1]

ومأوى إليَّ وموئلي

وأنتَ سِرِّي وساتِري

ومَسكني ومُسكني

ومَرجِعي من موجِعي

وضُلَّتي وأدلَّتي

في ضَلَّتي وعِلَّتي [2]

ومُنقِذي ممَّن أَذِي

وفِرقتي في فُرقتي

لكَ مَنسَكي يا مُمسكِي

---

[1] الأُهول: العُمران.

[2] الضُّلَّة: دليل السفر أما الضَّلة: الحيرة.

لما يضيعُ مُسكي[3]

القربُ منك مِسكُ لي

يملأ عروقَ المَسكِ

يا كالئي عند الكِلامِ[4]

وقائلي عند الكَلامِ

أملأتُ قلبي بالسِّلامِ

أملأتَني حتى السُّلامِ[5]

من أمنِ وَ.. نورِ السَّلام

يا واصلي ومُوصلي

لكَ دَعوَتي لا دِعوتي[6]

وحياتي.. ومَوتي

---

[3] الحيرة، المُسك: العقل الوافر أما المَسك: الجِلد.

[4] كالئ: راعٍ، الكِلام: الأتراح أو الأوجاع.

[5] السِّلام: الصَّخر، السُّلام: العِرْق.

6 الدِّعوة: الادِّعاء أو الرياء.

ولكن ماذا عن مؤمنٍ بالله يشعُّ الفساد والفتاوى الخاطئة فيمن حوله، فلقد قالها الإمامُ الغزالي: **"التديُّن المغشوش قد يكون أنكى بالأمم من الإلحاد الصارخ"**، على الأقل تتمايز الأشياء إذا كلٌّ منها مثَّل نفسَه الحقيقيَّة، إن لم نؤمن لأننا على اقتناعٍ تام بالإيمان بكل شروطه لا لسببٍ آخر حقٌّ علينا واجبُ التنفيذِ ألا نؤمن؛ لأننا بكل بساطة لن نُمثل الصورة الحقيقية والصحيحةَ للدين، وانطلاقًا من مبدأ إيثارِ الإنسان للصراحة الجارحة بدلًا من الكذب الناعم المعسول، وأنه أكثر قدرة على أن يحيا عمرًا تسعينيًّا كاملًا باحثًا عن حُب حقيقيٍّ من قدرته على تحمُّل دقيقة واحدة من حُب زائفٍ مُسبَّب تأتي الحقيقةُ لتبروزَ الاختلافَ الشاسع بين أن تُصلي في الخفاءِ ليلًا وأن تُصلي ليُقال عليك أنك مؤمن، وبين كونك تُحب الخير وتعمير الأرض فعلًا أم شغلتك آراءُ الناس فيك إلى هذا الحد من حيود الإيمان عن مسلكِه الصحيح، أم أنك بين فترةٍ والأخرى تخترع في الدين منهجًا فتثير البلبلة حولَك والشكوك وتضل الآخر.. هذا فقط بتمثيلك الخاطئ للدين والشريعة وهذا عينُ التديُّن المغشوش الذي ذكره الإمام، فالرأيُ الواحد الذي لا يشوبُه شكٌّ قابلٌ للتغيير والتجديد أو التطوير، وهو يمثل آراء المُلحدين تراهم متمسكين بحبالِ أفكارهم حتى يتبينوا الخيط الأبيض من الخيط الأسود ثم الإيمانَ

ويتوب الله عليهم، بينما الرأي المتزعزع عند بعض المسلمين بين اقتناعٍ ولا اقتناع لن يتغير مدى الحياةِ؛ لأنه ببساطة لم يشكل رأيًا أو مُعتقَدًا؛ بل خسر صاحبُه اعتناقَ الصواب والتمتع بحرية التفكير والتحليل والاستنباط، وعلى كُلٍّ.. لا تفعل مُطلقًا وكُن جافًّا في تعاملِك.. ولكن إياكَ ألا يكون الإخلاص منبعك.

ولا يعني ذلك أن الذنب تدين مغشوش! ولا يعني ذلك أن نقلل من غيرنا كمذنبين لأننا مثلهم تمامًا! نختلف فقط في اختلاف نوع الذنب!

فإن رأيتَه وهو يُذنب، فلم تره وهو يَجلد نفسَه، ولم تره وهو يبكي من فرط شقائه وحيرته في ضلاله الذي لا حدَّ له، ولم تره وهو يفعل الخيرات ولو بأشياء بسيطة كمساعدة عجوز في عبور الطريق، جاعلًا نيَّته **"إن الحسنات يذهبن السيئات"**، إن رأيته وهو يتعالى ويكابر في معصيته فلم تره وهو يقف كل ليلة ذليلًا خاضعًا مستكينًا بين يدي من لا يغفل عنه ويرى ما يفعل! الله حاشاه أن يكون في حاجة لحكمك -**كعبدٍ**- على بقية عباده! الله أرحم عليه منك! وأعلم بحاله منك! وهذا التقصير منه والذنب يخص الله فقط وهو وحده يعفو عنه، فذلك لا يضرك شيئًا!

إن رأيته وهو في قمة تعلقه بمعصية فلا تعلم قد تكون ذروة انقلاعه أخيرًا منها وإقلاعه عنها! الله وحده يعلم كيف يهدي عباده ومتى!

انظروا لحال أنفسكم، انشغلوا بإصلاحكم أنتم.. ونرجوكم.. دعوا الخَلق للخالق.

وأخبروا من رأيتموه يذنب وأردتم نصحه: رصيدُك عند الله من الستر هو مدى إيمانك بسترِه، فإذا انقطع إيمانُك وأملك في ستر الله من شدة تمسكك بالذنب، قطع الله ستره عنك.

غريب طبعنا وغلَّاب

بيفتح لينا مليون باب

برغم انُّه لا خان ولا ساب

لكن احنا مقاطعينُه!

بيدِّينا فرص لَنتوب

بنتمسك كتير بِذنوب

ونتعلق بِحُب قلوب

لا بيداووا ولا يعينوا!

بنعنِد رغم كونْنَا عِباد

بنتغرَّب كتير في بلاد

فيرزقنا العيال والزاد

ونفضل برضه عاصيينُه

فياخد رجلنا في بلاء

يخفِّ الذنب والداء

فنعرف إننا دبِلنا

ومهما كمِلنا ناقصينُه

فيدِّينا الأمل والنور

ويملانا أمان وسرور

ويرزقنا بقلب جَسور

ويحمينا فـ أمان عينُه

لأول مرة باكتب لَك

و باسمعني وانا باكتِب

وحاسسني وانا في المود

يا أكتر حد كان شاهد

وكان جنبي

وكان رغم التشابُه غِير

أنا ما انكرش إن الخير

جميعُه كان بأسبابَك

بدون منِّ وتعالِي وذُل

يا مَن اسمُه = **الكُل**

يا فوق الكُل والعالَم

كتير أنا بابقى باستبعِد

وجودك جنبي واتجاهلُه

لإن العبد من جهلُه

بيرفض أي شيء في إيديه

ويتمسِّك بِشيء رافضُه

ويستنَّاه على مَهلُه!

أكيد واضح من الموضوع دا إني بَاسِفْ

وإن الطيبة جوايا حزام ناسِف!

بتقتلني وتحييهم

تعقَّلني لكن بِجنون

وإن كلامي كالعادة بِنفس اللون

وإن الوَزن متكرر

وإن الحَرف لسَّا يا عيني بيبرَّر

ذنوب ماضي أكيد انتَ محيتها لُه

لكنُّه مش هيستوعب عملها ازاي

وإيه كان وقتها حالُه..

أكيد واضح من الموضوع دا إنه ماكانش يتجرأ

لو انت جيت على بالُه..

أكيد واضح من الموضوع دا إني بَاسِفْ

أنا آسف

أنا آسف

باقولها كتير.. تعبت يا رب م التبرير

لكن واثق بإن انت مابتملِّش

وإن انت بتسمعني بدون **"ما علش"**

وباكتب لَك وأسلوبي ما هوش لايق

لإن الصبر جوايا شيطان سايق

سريع الانغماس في الجاي

أنا قلبي ما هوش ميِّت

ولا بيحِس.. ولا حتى مِحصَّل **"حَي"**

أنا عارف بإن الجاي أبقى لي من اللي راح

وما أودعته من إحسان ما لوش أرباح

وإن الزحمة جوايا ما ليها بَراح

وواو العطف اهي عمالة ليك بتزيد

وإن الوحدة أكتر حالة بتحسسني بوجودهم

وإن اللمَّة أكتر حالة بتفكرني إني وحيد

يا أقرب ليَّ من نفسي وكل وَريد

أنا هامش

ما ليش في الدنيا ديَّا مكان وانا بدونك

فهمت من اللي فات م العُمر

إنِّ الحِكمة في الصُّدفة

وإن الصدفة أحيانًا

بتبقى أدق م المواعيد

وإنك وَحدي لما احتاج اكون وَحدي

وأقرب حل كان بالنسبة ليَّ بعيد

فهمت انك بتسمعني

برغم اني ما زلت بَاسِفْ

وإني لما باحكي لك

باحِس اني مريض وبَاخِف

باحس ان اللي ضيعته

في لحظة مَلكتُه ويَّايا

وإن الطيبة جوَّايا حزام ناسِف

أنا آسف

فاللهمَّ عوِّضنا عن صحَّتنا المفقودة والمُهدَرة، وعوِّضنا عن أنفاسِنا المتقطِّعة الضائعة، وعوِّضنا عن قلوبنا المجروحة والمُداوِية، وعوِّضنا عن كل لحظة تيهٍ وحيرة، عن كل دَمعةٍ سقطت وتساقطت معها أرواحُنا، عوضنا عن بقايانا وعن أشلاءٍ كانت غنيمةً لحربِهم معَنا، عوِّضنا يا عدل عن كل كلمةٍ سمعناها وكانت كفعل السهامِ فينا ولا نعرف كيف نردُّها ابتغاءً لمرضاتك، عوِّضنا عن كل لحظة شك وسوء فهم عاشها الآخرون فينا، عن كل لحظة ظُلم، عوِّضنا عن أُناسٍ خابت الظنونُ بهم، وانقطع الوصالُ عنهم، وذاب حبلُ الوصالِ بأيديهم، عوِّضنا عن اختياراتنا الخاطئة الطائشة.

عوِّضنا في ذلك اليوم الذي ننتظره جميعًا..

عوِّضنا يا من خاب الرجاءُ إلا فيه، وانقطع الوصالُ إلا منه، يا من تكون برَّ الأمان وميناء النجاة، ومَرسى لروحِنا الغارقة..

* * *

كالجندي المجهول

-باقة شكر

رسالتُها الثانية إلى من علَّماني نطقَ الحرف وفهَّماني كيف تكون الدنيا على علَّتها وسجيَّتها، بدايةً من ولادتي حتى هذا اليوم المشهود الذي قامت له قريتُنا البسيطة قيامًا وقعدت له قعودًا، لم يُقصِّرا قط في محاولةٍ لإسعادي وجعلي حاصلةً على ما أبتغيه بمنتهى الصعوبة أو على طرف السِّمان.

أبي.. أذكر أنك كثيرًا ما همست في أذني منذ نعومة أظافري كأنَّك تُحمِّلني أمانةً ما، لم أعرفْها إلا بعد نضجي، وأذكر أن هذه الأمانةَ كانت بمثابة أن أرفع رأسك وأطيل عنقك وأزيدك فِخارًا بين الناس، ليس بأن أكون المطربة التي عُرِض عليها الكثير لتكون ولا لأكون الزوجة القاصرة في **"بيت عدلها"** أربي الصغار الذين لا أكْبرُهم إلا بقليل، وإنما الأمانةُ كانت أن أكون طبيبةً أنفع الناس وتحديدًا **"الغلابة"** منهم وأن أكون صالحةً ومصلحةً في أرض الله أعمِّر فيها قدر استطاعتي، وأذكر اهتمامك بي وبمواهبي حين كنت تلاحقني إلى المدرسة الابتدائية والإعدادية وحتى الثانوية لتسجلَ لي ما كنت أنشده في الإذاعة، وإن

حالفك الحظ تدخل إلى الطابور ليقابلك أساتذتي بكل حفاوة وتلتقط الصور والفيديوهات ثم تعبأ أن تحتفظ بهم على جهاز الكمبيوتر الذي أتيتَ به لتسعدني وتغنيني عن الكثير، وأذكر -**لأن بيتنا يحتفظ بمسافةٍ كبيرةٍ إلى حد ما من دروسي**- حين كنت أقضي السويعات القليلة معك في مقرِّ عملك ثم تتركه لتأتيَ لي بالغداء ثم بكوب الشاي أو فنجان القهوة من يديك الكريمتين.. وأذكر بكاءك الضاحك حين تسمع اسمي من الأوائل أو المُكرَّمين هنا أو هنالك، وتنظر لإخوتي الصغار بإعجاب وفخار أن هذه أختكم الكبرى فاقتدوا بها، وهنا كانت الأمانة العظمى، الأمانة الثانية أن حمَّلتني مسؤولية اقتداء غيري بي.

وأذكر أيضًا محاولاتك الجَمَّة لإرضائي وإرضاء إخوتي، ولا أذكر شيئًا قدرَ ما أذكر حرمانك نفسك من مستلزمات كثيرة تنقصك لأجل أن تكمِّلنا وتلبيَ رغباتنا الجَمَّة كمحاولاتك، وأذكر الأشهر والسنين التي مضت علينا ونحن في أوقاتٍ عصيبة لا نعرف لها مخرجًا، وأنت تعافر إلى آخر اللحظات حتى تشبع أقل رغباتنا إلحاحًا، وأذكر قلبك الصافي الذي لا يحمل كرهًا أو حقدًا أو سيئًا، ثم أذكر أن تجمَّعت كل هذه الصفات لتكون سببًا كافيًا وكفيلًا هذه الأعوام الثلاثة، أو هذا

العام بالتحديد لأعوضَك خيرًا عما كان من الدنيا تجاهك، وأذكر هذا الموقف الذي أبكاني قهرًا حين رأيت زبونًا ما يتعالى بصوته عليك ويتكبَّر وأنت تحترم مهنتك وطبيبك حتى لا تخسر عملك، ثم لا نلقى من يعولُنا، أذكر حلمك ونقاءك وصبرك الجميل على كل شيء حتى المفاجآت التي تأتي بها إليَّ أو آتي بها إليك.

كما أقول دائمًا وبصرف النظر عن أي عيبٍ أو نقصٍ يُشِين منَّا جميعًا: يكفي وجود حذائك أمام باب المنزل حتى أشعر بالأمان. ولا أنسى أن أذكر ثقتك بي التي أعجب لها حينًا وأكذبها أحايين أخرى.

ثقتك التي منحتني قدرًا من الرجولة يكفي أن أرد على أي مخلوق ظنَّ أن له كلمةً عليَّ وأنت على قيد الحياة، وأيضًا تربيتك الأصيلة المتأصلة التي استأهلت منك كل هذه الثقة، أطال الله عمرَك وبارك فيه وأدام عليك ما أنت فيه من سعادةٍ وفخر، وأدام حبَّ الناس إليك واندهاشهم من يدك التي لم يصدقوا يومًا كونَها عكازًا لي لأصلَ لما وصلت إليه. ويكفيني الآن ولاحقًا كلماتك المكللة بالذهب، بل الماس إليَّ أنني حققتُ أملك وأثلجت صدرك بعدما كدَّرته ونغَّصته الحياةُ القاسيةُ عليك.

كما تكفيني قُبلتي لقدميك الكريمتين حين رأيتك تبكي فرحًا وتجهش، كما لم يُصبْك الحزنُ قط، جعلني الله دائمًا عند حسن ظنك، وأتمَّ فرحك بوصول بقية إخوتي لمكانةٍ راقية تسمو بكثيرٍ عن مكانة من اقتدوا بها.

أمي.. أقصد صديقتي المقربة جدًّا بل أقصد مرآتي التي تراني على علَّتي، أتذكرين قصيدةً كتبتها لكِ قلتُ فيها:

يا أُختي وصاحبِتي وبِنتي
ومِينا ومَرسَى لـسفينتي
يا كُل المَعنى يا اِنتِ
يا رُوح شايلاني طول الوقتْ
أنا متغرَّبة دونِك
ولعيونِك حبيبتي اشتقتْ
أنا متغرَّبة دونِك
ولون فرحِتي لونِك
و لو تِرضي أكون عونِك
واكون وقت الفراق **"كونِك"**
واكونِك لما اكون اشتقتْ

فانا عُمري فـي يوم ما سَبَقتْ
ولا استعجَلت لقدومِك
يا ساكنة قلبي من يومِك
وفي هدومِك باسيب رِيحتي
باشمِّ هدومي بالقاكِ
لا جفِّيتِ ولا رُحتِ
بتشرُق شمسِي بوجودِك
ويِقوى قلبي بصمودِك
وباعزف غِنوتي بعودك
يا ساكنة الروح وهاجرة الهجرْ
بانام الليل في أحزاني
فبالقاكِ تكوني الفجرْ!
لا انا عارفة أكون حُسنِك
ولا عارفة أكون جودِك
وكل الحزم في صمودِك
بيضعِف قلبي فيخاف
يشوفِك مرة ضعفانَة

ويحلِف إنُّه عمره ما شاف
في وجعه كتف زي كتفِك..!
فكِيف تنتهي وانتِ
شريطي كله بيسفِّك!!
يا امَّه
يا ماما يا امَّايا
يا لَحني وصوتي وغُنايا
كلِّ الحِلو كان منِّك
ورغم انِّك
قمر وضَّاء
نجومِك قايدة فـي سَمايا
ما زلت اذكُر معاناتِك
وتعبِك اللي كان فتَّاك
ولاجل انِّ البشر أرزاق
فانا حابَّاكِ بحالاتك
وحابَّاكِ بأوضاعك
وباتمنَّى لو افضل شايلة طول العمر أوجاعِك

في حُزني كنتِ شايلاني
في حزنِك حضني مش ساعِك!
يا أغلى منِّي يا أمِّي
يا ساكنة فـ عرقي وفـ دمِّي
ويوم ما بدأت أتباعد
لقيتني فجأة أدمنتِك
برغم انِّك طبيعي الأُم
عُمري ما كنت انا بنتِك
دايمًا بابقى ليكِ الأُم
واخاف عليكِ من نفسي
واخاف لو تطلعي برَّا
فتشتاق لِك حِيطان البيت
أنا ياامَّه ما نيش حبِّيت!
وما اسمحشِ لأوجاعي
تُداوى من لَدُن غيرِك
وما اسمحشِ لـنفسي أحب
فاخالف في الخُطا سيرِك

يا كاوية نفسك وضميرِك
لـتمشي في طريق الله
يا ماسكة يدِّي من صُغري
بنكتِب في كتاب الله!
فـكِيف أنسى وكيف أقسى
وليه أرسى ما دام موجك ممشِّيني؟
ولَّا مُت فـي جفونك
لقيتك جاية تحييني
وتاخديني فـ طريق ليكِ
جبرتِ قلبي لَيقول لِك
أنا كافر بكل الناس
ومش مؤمن لغير بيكِ
يا بحر بيدِّي ما يخافش
ولا يعمل حساب لسنين
يا نِسمة فـ عز حرِّ الصيف
يا طِيف القلب والعين

لمحت فـ عينك الفَرحة

لقيتك سارحَة تتباهي

لو خدتِ العمر وانا شايلاكِ

شوية عليكِ واللهِ!

- وقت الميلاد -

أنا لما عِلِي صوتي

كان سكوتي ساعتها مُحال

وانا من "لفِّتي" شايفاكِ

فاقدة النوم وراحة البال

بس لمحت رغم صغري

لمعة ودمعة مِتعانقِين

وفرحة باينة في عيونِك

أنا متغرَّبة دونِك

ولعيونِك حبيبتي اشتقتْ

برغم انِّك ما بتفارقي

لكِن واحشاني طول الوقتْ

لم يؤمن قلبي بعدُ بغيرِك، ولم يرَ حنانًا كما رأى منكِ لأنكِ ببساطة مَنبعُه، بعيدًا عن هذه الأشياء المعروفة التي تفعلها كل أمٍّ لأبنائها، فحياتُكِ المتعلقة بالحفاظ علينا كانت مُدججة بمواقفَ آلمتكِ أشدَّ الألم، أذكر منها ما أبكاكِ ليلًا ونهارًا تطلبين استرجاع حقك من ذوي النفوس المريضة المتجبرة المتعنِّتة، كم عانيتِ في بيئةٍ لم يفهمْكِ فيها أحد ولم يقدر مدى رقيِّ تعاملك، والكثيرون كانوا ضدك وكانوا حقودين على ما أنتِ فيه من نِعَم باتوا يدفعون الغالي والنفيس ليصلوا إليها، ها أنتِ الآن تثبتين أنها من غنى النفس وقناعة الضمير وعلوِّ كلمة الحق التي لا تشوبُها كلمةٌ غير متحضرة أو غير هادفة.

لا عليكِ من كل هذا فقد دفَنته السنون تباعًا وهي تمرّ عليكِ و-تَمرُّ- في ذائقتِك، ودعيني من بعض فضلك عليَّ أذكر للجميع كم عانيتِ من أجلي وتنازلتِ منذ أن عَمِلت هنا وهناك لتدبِّري دخلًا يساعد في تربيتنا..

ولن أذكر التفاصيل ليس لكونها عيبًا؛ بل لأن ما أجبركِ الزمان عليه يحزن قلبي، كنتِ من أكثر الناس ابتلاءً وصبرًا وإيمانًا.

مرَّت عليكِ مِحن لا أدري كيف أصبحت ماضيًا من شدَّته لا نذكرُه، لذا؛ على المستوى الشخصيِّ أنتِ إنسانة عظيمة بكل معاني الكلمة، بصرف النظر عن هذه المحن التي لا يعرفها الناس ولم يقاسِها ويكابدها غيرك..

أما كأم فأنتِ التي ضحَّت وسهرت وسمعت مني القليل والكثير وتحمَّلت ما عانيته من حالات نفسية، وسعيت وراء الأسباب لتجنبني عوائق النتائج، تعلمين جيِّدًا أني أبكي الآن وأنا أكتب حتى توقفت كثيرًا، أفكر عما يليق بكِ وبما فعلتِه لأجلي ولأجلنا جميعًا، علَّمتِني كيف أكون أصيلةً أرعى مصالح زوجي -**في المستقبل**- وأحافظ على أسرار بيتي، وكيف أكون عزيزة النفس مرفوعة الرأس لأنني أنا لا أكثر، وعلَّمتِني يا أمي كيف أقول الحق لو خسرتُ نفسي، وأن أكسب نفسي ولو خسرت الناس، وأن أكون كريمةً و"**جدعة**" مع كل صاحباتي ومن أعرفهم، وكيف أكون على قدر المسؤولية وبـ"100 رجل" وأن ألاين الناس وأسير على هواهم ثم أفكر على هواي، وعلَّمتِني ألا أتظاهر وألا تمتد يدي إلى ما في يد غيري، وعلَّمتِني كيف تكون الصحبة الصالحة، تابعتِ معي كل أوقاتي ولا أنسى أبدًا تسميعك لي الكتاب تلو الآخر

-**في الثانوية العامة**- حتى تَرَيْ نفسيتي أكثر تحسُّنًا، ولا أنسى تشجيعك الدائم أو على الأقل تقديرك حين أفتُر وأتراجع، لا عَدِمتُ إكرام الله لي من أجلك، ولا عَدِمتُ تذكُّرَ اللحظة التي وقعت فيها على قدميك أمام جميعَ الناس الفَرِحَة بنجاحي أقبلهما وعينُ الجميع تدمع وتضحك.

أنتِ يا أمي من تخاف عليَّ أكثر من نفسي والوحيدة التي تلبِّي لي رغباتي دون معرفةٍ سابقة بما ستأخذه من ورائي، بداخلك مَعين لا ينضب من العطاء والتفاني.

كلُّ ثانيةٍ من عمرك لها فضلٌ عليَّ في تكوينِ شخصيَّتي، وكل موقفٍ مررتِ به كأنكِ مررتِ به لآخذ أنا العظةَ والعبرة وتزرع فيَّ الخبرة.

كأنكِ ولدت لتصلحي دائمًا أخطائي وتواري عيوبي، حتى مرضك ونومك قعيدةً في سريرك علَّماني كيف أتحمَّل المسؤولية من بعدك وحدي.

أمي الحائط التي لا تميل، ولا تخضع، ولا تخلَّت يومًا عن ظهورنا، حتى أقدام أمِّي علَّمتني كيف وأين تكون الجنة.

وذلك الحنان النابع منِّي الذي كثيرًا ما حدَّثني الناسُ عنه! إنَّما هو من لمسة يد أمي! التي سكبت بها في عروقي معنى الحنان والوفاء فأجرته كالدم في وريدي، أمي التي أعطتني منها أكثر مما أبقت لنفسها..

أخذتُ من روحِها، صحتِها، جسدِها، عمرِها، وشبابِها، أمِّي التي تعجزُ ألفُ صديقةٍ عن كونِها.

في مرض أمي..

كان غريبًا أن أرى مدى وضاعة الحياة وحقارتها في عين من جعلته حياتي، وأن أرى الأمل صريعًا في ملامح مشرقة كثيرًا ما اتخذتها قِبلةً لسعادتي، لا أصدق أن أرى من أستمد منه وقودي يرضخ للأمر ويذعن، إنه من اعتادت على وصفه وحبه حروفي، من أراه دائمًا أبدًا قمري رغم أن الليل قد اكفهرَّ والسحاب قد تلبَّد.. إنه، أو إنها، أمي..

ذات العينين صاحبتي الأثير إذا فرحت، يعجبني أن تكون قويةً في ابتلاءاتها المتساقطة عليها، رغم أنها تجهدني من كثرة التفكير والخوف.

لكن الأمر مرهق حد الإيلام، حينما أتفقد الجلوس معكِ والتحدث إليكِ ولا أجدكِ إلا على سرير المرض تتألمين ولا أحد يكترث.. حتى أنا مهما فعلت لكِ لن أوفي مثقال حبة من خردل مما صنعتِه لأجلي..

أنتِ مظهر من مظاهر الكَمال قلَّ أن عُرف له نظير.

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس

"بالبـــــلدي.."

طبيعة الحياة قبل أي مرحلة نُضج..

كمية أرشفة لكمية رسايل غير طبيعية، كمية تجاهل وتطنيش لأي بوست طويل أو كلام كتير مع أي حد في أي حاجة، شعور بالهروب غير عادي، لا مبالاة من أي ڤيديو مثير للاهتمام أو الضحك أو تحريك أي غريزة، شعور بالثبات والإصرار على الخطأ والبُعد، عدم القدرة على التغيير مُطلقًا حتى من مجرد الروتين اليومي، كلام قليل مش كالمعتاد، كلام محدود جدًّا ومُنتَقَى، شريط بيلف ويشتغل بمجرد ما كلمة تُذكَر، نسيان غير طبيعي وأعتقد دا من أهم النعم في الفترة دي، رغم إنه مُتعب جدًّا، ضغط فوق العادي بمراحل ومن كل ناحية، طموح الناس اللي بتحدده!، ثقة في النفس مُستمَدَّة من المواقف أو الشخصيات التانية، حلول مؤقتة كإنها تضميد للجروح أو مجرد أسبيرين مخفف الألم لفترة، مُسكِّنات من نوع مختلف، علاقة طردية بين كل الحاجات دي وبين عشم الناس وثقتهم وقربهم وكترهم، رغبة في الانعزال والوحدة بشكل مشابه لزجاجة المياه اللي مجرد ما اتفتحت ونزلت نقطة الباقي نزل وراها، تقليل من ردود الأفعال المُعتادة والمُنتظَرة، كسل وفتور وبركان في نفس الوقت، كلهم ماشيين في طريق واحد، الحياة بتصغر بس ما

زالت شاغلة معظم الوقت والتفكير، دايمًا.. هتعيش بتدوَّر على روحك، هتعيش غلط كتير ويوم ما تيجي تعيش صح هتيجي الفَترة اللي لازم تتعاقِب فيها ع الغلط دا، دايمًا هتعيش بتدوَّر على حاجة ما اتخلقتش! ودايمًا هتبقى مقتنع إنها موجودة!

هتعامل ناس ما بتحبش تتعامل معاهم، هتعيش مواقف وظروف ما كنتش تتمنى أو تتوقع إنك تعيشها! دايمًا هتعيش بتدور ع الكَمال والرَّاحة، هتلاقي تناقضات في كل شيء حواليك حتى في الشيء اللي المفروض يكون حاجة واحدة بوجه واحد وبس...

لا حياةَ بْدونْ مشاعر
أي شاعر
لما ييجي يحس نفسه
يلقى نفسه فـ كام قصيدة
مرة ساذج
مرة خايف
مرة كل الهمة فيه
لاجل أحلامه البعيدة

مش مقاسه ومش مناسبة
كلها واسعة وعريضة
بس أصلًا كل ذلك بالمشاعر
مستحيل الحزن يُكتَب
عن جفاف وقلب واعر
عنده هالة من المشاعر
زي بحر من الحنان
موجه هايج كل يوم
زي كركبة الهدوم
كلها واسعة وكبيرة
زي قعدة ع الحصيرة
عايزة ناس تملا فراغها
تدي حِس للمكان
زي بحر من الحنان
المصايف واخدة عنه فكرة وحشة
فيه حيتان
أو بِغَرَّق

زي "**حايش**" في الخناقة
قام مِفرَّق!
زي "**قهوة**" قاصدة تِجمَع
بين جيرانها.. بالكراسي
ضامة فيها اللي باكي
واللي ناسي
خدمة دايمة بالمطالِب
والمشارب
فيها ساكن
فيها هارِب..
فيها بِبقى الباب موارب
لما تبقى -**صاقعة**- برَّا
فيها فرحوا كل مرَّة
إلا واحدة
شوف قلوب الخلق جاحدة
لما لقيوا القهوة قافلة
قالوا، حضن وكان مؤقت،

كانوا خلق عيونها غافلة
بصوا لما القهوة قفلت
نسيوا ليلة دفيوا فيها
وكل حاجة فيها تِلفِت
نشفوا في أركان حيطانها
والحيطان لسَّا ما نشفت
زي عيشة للجميع
حق كله يخش فيها
زي دمعة هاربة نزلت
وانت إيدك بتداريها
اللي يدِّي بإيده قلبه
للي مش آمن عليه..
عادي جدًّا إنه يلقى
كل أسلحته فـ إيديه!

علشان كدا قمة الظلم والجهل إنك تحكم ع حد ولو حتى وانت معاشره!، لأن كل واحد عايش تفاصيله أكتر من الشاهدين عليها!

وهافضل أقول: ما دامت مشاعر كل منا في داخله فلا يحق لنا أن نقتصر الظن على الخارج فقط، فكلنا عيوب وكلنا مشاعر فاقدة للسائق. وحتى لو شايف إنك خبير ومريت بتجارب كتيرة تدي لك الحق في الحكم على الناس، فعلى الأقل ما تعاملش الناس بإنك أعلى منهم فكريًّا، ولكن بإنك مختلف عنهم فكريًّا!!

❋ ❋ ❋

الفراغ يعمل أكتر من كدا

جملة أصدق من الصدق نفسه، الفراغ أكثر المبررات إقناعًا لأي فعل همجي أو غير مألوف، يعني لما حد يتفرج على أفلام إباحية ووصل من مرحلة الاستكشاف ثم الانبهار ثم **"لا مانع من متابعة الجديد"** ثم **"الإدمان"** ونقول إن الفراغ هو السبب يبقى مبرر مقنع! كذلك لما حد نهار وليل بيتكلم في أعراض الناس وينهشها يبقى م الفراغ! لما حد كل كلامه عبارة عن انتقاد وذم وشحنات من الكُره والتذمر والسخط على كل حاجة يبقى م الفراغ!

"هي تخنت كدا ليه؟"، "هي ازاي ما اتجوزتش لغاية دلوقتي؟"، "هي عاملة لابن خالتها لايك ليه؟ هي بتكراش عليه! شوف قليلة الأدب!" "هي قلعت الحجاب ليه؟" "فستانك دا مش حلو!" وكل دا تحت مسمى كاذب وجارح وهو الصراحة، ولما حد شغله الشاغل هو إرضاء الناس -**جميع الناس**- والفوز بمدحهم والمكانة الأولى في قلوبهم يبقى السبب الفراغ، يعني لما الشباب يمسكوا سيجارة وتدريجيًّا مخدِّرات علشان يبقوا رجال دا من الفراغ، الاتجاه لأي فعل خاطئ أو

معصية قد يكون سببها الوحيد هو الفراغ لا غيره، زي الأغاني -ربنا **يهدينا جميعًا يعني**- أو المسلسلات والأفلام، من هنا بنتحول من مشكلة إن عندنا فراغ لمشكلة إننا بنملا فراغنا بحاجات غلط ما بتملاش الوقت على قد ما هي بتخلَّصه بسرعة وبدون أي عائد مادي أو معنوي على الشخص.

أبشع حالات الفراغ اللي ممكن أي حد يعيشها حالتين:

1-الفراغ العاطفي

ومن أبشع صوره إنك تحب حد وانت ما بتحبوش، توهم نفسك بحُبه علشان هو اهتم أو سأل أو كان مختلف في حاجات غير كل اللي حواليك، هو عمره ما كان مناسب ليك بس انت بتحبه علشان بيحبك، أو لازم يكون في حياتك علشان اهتم، ممكن تعشق حد علشان عندك فراغ عاطفي -**أيوة تحبه بجد**- بس حليت مشكلتك بمشكلة تانية وهي التعلق بغير الله.. التعلق لدرجة إنك مش قادر تسيبه 5 دقايق يروح الحمام ويرجع، والعياذ بالله ربنا يعافينا بيتولد من هنا جنون العظمة والغيرة وحب التملك منهم بتوقَّف حياتك على اللي بتحبه وبس مش مهم تكلمه انت؛ بس هو ما يكلمش حد، مش مهم تدي له انت؛ بس

هو ما ياخدش من حد، مش مهم تكون معاه انت؛ بس هو ما يكونش مع حد، حتى مش مهم تقضي وقتك كله خناق على حاجات زي دي؛ بس هو ما يقضيش وقت جميل مع حد غيرك.

طباع مشينة زي الأنانية وحب الذات والثقة في النفس الزايدة اللي بتخليك تستغرب لما يكون حد في حياة اللي بتحبه غيرك، ولما خلاص تلاقي الشخص صاحب المشاعر اللي تملا الفجوة الكبيرة اللي هي الفراغ العاطفي كمان بتستعمله غلط، ممكن مثلًا ما يكونش عندك مانع تتكلم معاه 55 ساعة في الـ24 ساعة على فيسبوك، ويوم ما تحب تعمل حاجة مختلفة تكلمه على واتساب، ومن ثم ع الفون، وممكن تحمل أبلكيشنز جديدة تتكلم فيها في نفس المواضيع مع نفس الشخص طبعًا، ودا تطبيق لفكرة إنك فعلًا بنيت حياتك عليه وبس، لحد ما شخصيتك تتوه وتنسى انت بتحب إيه وبتكره إيه وهدفك إيه!

في وِسط زحمَة من المواقِف
عندي حبة أسئلَة

ليه ما فيش في السما غير
قَمر واحِد؟
ليه اللي مُرغَمع الجُحود
في الأصل مش جاحِد
وليه اعتذارنا مُشكلَة؟
ليه اللجوء صَعب المَجيء
وصعب ناخُد خَطوتُه؟
ليه الشروق دايمًا مُضيء
بس خافي سكِّتُه؟
واللي قُلوبنا حبِّتُه
أفعاله طاعْنَة وقاتِلَة
ليه ردودنا ظالْمَة ليهم
بس لينا عادِلة؟!
..
ليه الزَّحام وقت الدموع أصبح فَضَا

ليه بنُذكر ما مَضَى

ليه الصِّحاب وقت الغِياب

زيِّ الحَديد اللي صَدَا

ليه الغياب أصلًا حُضور

وليه الحياة داير تِدور

ليه اللي ماشي فـ سكَّة نور

عينُه ما تجيبش المَدى

ليه الرضا

وقت العياط أصبح قضا!

* * *

2- الوهم

وانت فارغ بتعيش حالة من التأمل الغلط، عاوز تعرف حاجات معينة مش مهم مسموح لك بيها أو مهم تعرفها ولا لأ، ومن التأمل بيتولد الوهم بحاجات رسمها خيالك وصنعتها أحلامك وفي الواقع ما لهاش أي وجود، ممكن تعمل حاجات غير منطقية ومش متطابقة

إطلاقًا مع قدرات عقلك وتفكيرك، اللي للأسف بيخمدوا ويخملوا طول ما انت في فترة فراغ، الفراغ من التفكير وتحمل المسؤولية ممكن يخليك تصنع مسؤوليات وهمية أو مشكلات مش موجودة، أنا شخصيًّا عشت الحالة دي وعشت سنيين من عمري -**زي ما ذكرت في بداية الرحلة**- موهومة بحاجات عمرها ما حصلت ولا كانت هتحصل لأول مرة هاصرَّح بيها واقول إني كنت موهومة إن الجن بيطاردني وحياتي كلها كانت رعب في رعب، وكل حاجة سودا حواليَّ، لأ ووصلت لمرحلة من تصديق الوهم خلتني أقوم أصلي الفجر مخصوص أدعي ربنا يشفيني، برغم إن ما فيش أي دليل قاطع وصريح وواضح باللي أنا موهومة بيه! وكنت باخاف أسمع قرآن علشان الجن اللي أنا موهومة إنه بيطاردني يظهر ويصرخ زي اللي باشوفهم في التليفزيون، فامتنعت عن القرآن وكتير من الطاعات؛ باتلافى رد الفعل اللي أنا مصدقاه بس خايفة منه، الفراغ اللي عندي وصلني إلى تساؤلات ما كانش المفروض اسألها ولا أعرف إجابتها، وخلاني أصدق ناس غير ربنا وأومن بقدرتهم -**ربنا يسامحني**- وخلاني كمان عبارة عن إناء فارغ كله بيكب فيه معتقداته وانتماءاته وآراؤه، لحد ما بقيت مزيج من كل الناس الموهومة ومليت حياتي بالوهم وصدقته لصغر سني وقتها، والحمد لله يعني كانت

أصعب فترة مريت وهامُر بيها في حياتي كلها، لما فيها من إلغاء لعقلي وتفكيري وفراغي التام في البحث عن حاجات ما لهاش أي أصل ولا صحة وجود، اللي خلاني أدرك إن سبب الوهم دا كان الفراغ، إن بعد الـ 6 سنين ابتديت أزهق من غياب الدليل القاطع باللي موهومة بيه! ومن تأخير استجابة الدعوة بالشفا اللي هي أصلًا محققة في كوني غير مريضة! قرأت كتاب السر للرائعة روندا بايرن، ومنه عرفت قد إيه الأفكار والفِكَر اللي بتخطر على بالك والمعتقدات اللي بتؤمن بيها بتكون انت! وبتواجهك في كل وقت ومابتشوفش غيرها.

هو فعلا كان السر اللي ما كلفتش نفسي أبحث عنه، وآمنت إن انا اللي معايا المفتاح ومعايا القفل وإن الباب ملكي والبيت بيتي وطول الفترة دي ما كنتش باقول غير **"حاشاه أن يحيي فيك أملًا ثم يقتله"**.

آمنت إن بعد ما ربنا أخرجني من ظلمات الوهم إلى نور الفَهم استحالة يضلمها عليَّ تاني، لأنها فعلًا فعلًا كانت فترة أصعب مما أي حد يتخيل، الوهم دا بأنواعه أصعب من الشيء نفسه اللي بنتوهم بيه، يعني لو حد كان ملبوس فعلًا كان زمانه اتعالج من زمان، ولحد دلوقتي ما فيش مخلوق يعرف تفاصيل الفترة دي زي ما عشتها، كانت بالمعنى الحرفي حرب بيني وبين الحقيقة اللي كانت بتفرض نفسها عليَّ طول

الوقت، وما كنتش مصدقة غير نفسي؛ لإن الفراغ أثبت لي إني كدا.. كإني كنت مغمية عيني وباحارب في الهوا بكل اندماج وتحيُّز.

ونختم بمقولة للرائع دائمًا / **أحمد خالد توفيق**
محتواها إن معنى السعادة هو إنك **"ما تفضاش"** تقول إنك حزين.

كفاية نعيش في وهم الذات
ونتعشِّم كتير في حاجات
وندفن حب ناس عايشين
فيُبعث لينا في الأموات
كفاية كلام على الأوجاع
وذكرى لحد عدَّى وباع
وحُضن لا عمره كان موجود
ولا في خيالنا عاد بيساع
كفاية نعيش في وهم الذات

ونرسم قُرب في المسافات

ونُطلب عُذر، كان هيكون

لو المُذنب فعل زلات!

كفاية مُبالغة في الأحزان

وفقد المُتعة في اللذات!

عَشَمنا ساعات بدون عقرب

لقينا البُعد كان أقرب

لقينا الحلم كان أغرب

من الواقع وم الحكايات

كفاية نعيش في وهم الذات

بإن الحُب مش هيكون

لو -الآخَر- مالوش علامات

بإن الثانية بتلَخَّص

وبتعوَّض غياب بساعات!

كفاية نعيش في وهم الذات

ونتحجِّج

بإن النفس أمَّارة

ماليها الشك ويَّا الطيش

لإن اللوم بطبعه مُبيد

بيقتل حبِّنا بشويش

وبيحدِّف قلوب بقزاز

جميلة الصورة لو تَخلُد

برغم انه ما فيش برواز!

❋ ❋ ❋

النقاش

كان قدامنا فرص كتيرة جدًّا نحصل على تجربة، معلومة أو خبرة جديدة من أبسط النقاشات اللي مرينا بيها على مدار العمر، لكن للأسف إما دايمًا مواعيد النقاشات الحادة والجادة غير مناسبة بالمرة للمود بتاعنا فبنظهر مِتعصبين ومُتعصِّبين وبنطلع خسرانين الحق اللي كان معانا وما عرفناش ننصفه أو الشخص نفسه اللي بيشاركنا النقاش، ويمكن كمان نخسر اللي ذكرناهم في النقاش بالشتيمة فضلًا عن صفوة الآراء اللي كانت مفروض هتُطرَح، لكن بالنسبة لناس معينة وكتيرة الحقيقة بيبقى النقاش بالنسبة لهم مش مجرد حالة ممكن تناسب مودهم أو لأ فيخسروا بدون قصد؛ لأ الناس دي طبيعتها بتدخل النقاش في منتهى العزم على الفوز بالحق اللي ممكن يكون مش من حقهم، والفوز بمكانة مرموقة ومظهر مُهندَم قدام كل اللي قاعدين، وطبعًا علشان دخلوا بعزيمة قوية لازم يبذلوا قصارى الجهود، ويسلكوا أصعب وأقسى الطرق علشان يحققوا المراد، حتى لو هيخسروا اللي قدامهم بكلام

مقذوف **"كالحجارة أو أشد قسوة"** المهم همَّ ما يخسروش عزة النفس، مع إن عَزة نفسها ممكن تخسر نفسها عادي مقابل الظهور بمنظر يليق بتعاليم الدين والإنسانية، حتى لو صوتهم هيعلا ويكسروا الجماد اللي حواليهم كله، أو حتى يسبوا ويلعنوا بدون داعي، الغريب بقى مش في إنهم بيخرجوا عن موضوع المناقشة المحوري كتير ويتوهوا عن الموضوع ويجيبوا م الماضي والمستقبل؛ المهم يحدِّفوا حُجج متتابعة وأدلة رغم إنها ما لهاش دعوة بموضوع النقاش.

لكن الغريب لما يفشلوا في كل الطرق دي وخلاص فاضل خطوة على **"النجاح"** اللي هو الفوز بالمناقشة، ناهيك عن لو المناقشة قدام ناس غير المتناقشين ف يبتدوا -**ينقَّصوا من اللي قدامهم**- يذكروا عيوبه وغلطاته اللي ربنا بجلالته غفرها، وشوية يقللوا ويحقِّروا من شكله وشخصيته مع مزيد من الوصف الاستعاري، اللي غالبًا بيبقى مجازًا عن حيوانات أو ناس حقيرة في الكون، المهم اللي قدامهم ينسحب من اللخبطة اللي حصلت له والتشتت الذهني اللي حس بيه لما لقي كل المواضيع دخلت في بعضها، كإنه دخل يعمل فتة مش يعمل حوار، ودا برضه وكلاهما بعيد عن محور النقاش وموضوعه.

وقال **توماس بين -ثوري وراديكالي إنجليزي-** في الحتة دي: **"إن النقاش مع شخص ممن يرفض استعمال سلطة العقل وبفلسفة لاهوتية مبنية على احتقار الإنسان، مشابه لإعطاء أدوية لشخص ميت"**.

فغالبا بيضطر الطرف اللي استُحقِر أو بتضطر مشاعره إنها تظهر ورغم إنه طبيعي جدًّا ما يتحاسبش ع رد فعله، بالضبط زي ما البلونة ما ينفعش تتقيِّم على سُمكها لما تفرقع من كتر ما اتنفخت، إلا إن الطرف صاحب الصوت العالي الحمد لله لقي التوفيق وعلامة من علامات إنه من أولياء الله والحق بيفرض نفسه، وناقص يتكلم ويقول إنه معاه وخلاص وصل للي هو عاوزه الآخر صوته عِلي واتشحن غيظ وألم من عائد الكلام الجارح اللي اتقال عليه، وصدى الصوت العالي في ودانه، مع إن المنطق بيقول إن الفعل اللي انت شايفه غلط لازم علشان يبقى من حقك تشوفه غلط يبقى انت شخصيًّا ما بتعملوش ولو بتعمله يبقى ما تعتبرش نفسك استثناء.

المهم لو حسبنا عدد الدقايق اللي كانوا عن الموضوع الأصلي مش هنلاقيهم حاجة قصاد الـ 4 ساعات اللي ممكن يتقضوا عادي جدًّا في مناقشة كل أطرافها خسرانين، وللأسف الشديد.. أكثر أنواع البشر ربحًا وانتصارًا في الموقف هو **"الجاهل"** قليل العقل قبل العلم **"العلم**

بجوانب الموضوع وزواياه"، الجاهل دا عنده قدرة على خرس اللي قدامه غير طبيعية، مهما كان اللي قدامه قاصف جبهات أو عنده قدرة على الإقناع.

بدون أدنى شك الترفُّع والإعراض عن كثرة الجدال وسفاسف الأمور من خصال الأقوياء اللي بجد، مش اللي بيظهروا كدا، والانسحاب من أي جدال فيه حُمق وسفاهة وتعدِّي وتجاوز لحدود النقاش قمة -**الانتصار** ـ ودا امتثالًا للآية: **"وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"**

فمش لازم علشان نبقى كويسين ومنورين يبقى اللي قدامنا وحشين ومطفيين! لأ عادي جدًّا لما نجمع فولتاتنا وننور مع بعض!

وفي الحتة دي قال **الإمام الغزالي** في كتاب إحياء علوم الدين: **"أن يكون المتحاوران في طلب الحق كناشد الضالة لا يهمُّ أن تظهر الضالة على يديه أو يد غيره"**. يعني مش مهم الحق مع مين، المهم إن الطرفين يوصلوا للحق والصواب.

رسالة سلام

مهما حاولتَ الحصول على الأمانِ وراحة البال ستفشل بشتَّى الطرق، إن لم تتخذ "**السلامَ**" أولَ خُطوة..

ودِّع خصوماتك من الآن وقبِّل ترابَ الأرضِ أن اللهَ أراد لك الحياة إلى هذي اللحظة، ولم يأخذْك بغتةً وأنت غارقٌ في العَداء، عاشقٌ للعنادِ، مُتشاحنٌ حتى مع نفسِك.

لقد قالها لي أستاذي يومًا:"**لن تجدي ما تبحثين عنه الآن، حتى تصطلحي مع الله ثم نفسك ثم الناس**"

وأحيانًا يكون التنازلُ أعظمَ الأشياءِ التي تقدِّمها لله ولكونِ الله ولخَلقِ الله، لذا.. فقد سامحتُ الآن كل من اغتابني وأساء إليَّ، وكل من طَعنني من وراءِ ظهري، وكل من كان نقطةً سوداء في حياتي، وكل من آذاني واستغلَّني وأفشَى سرِّي، وكل من ظنَّ بي سوءًا، وكل من يكرهني ويحقد على ما منَّ اللهُ به عليَّ ويتمنى لي الهلاك..

أشهدُ الله أنَّني قد سامحتُ كل من لا يستحق السماحَ، ووحدَه يعلم كم أطمع في عفوِه عنِّي، وفي قدرته على أن يبدِّل ما في قلوب بعض عباده ناحيَتي وردًا وأزهارًا..

لعلَّني قد أسأتُ فهمًا وظلمتُ نفسًا وجرحتُ قلبًا، لكن ما أُكنُّه في نفسي كان يستحق العُذر.

تمامًا.. كما أعذُرُ الآن.. أعتذر، ولعلَّني أقاوم وحدي في حربٍ أنتم لا تعلمون عنها شيئًا، ولعلَّ اللقاءَ قريب.

❋ ❋ ❋

الفهرس

عنِّي.. 5

إهداء 8

المقدمة 9

بدايةُ الرحلة..... 11

الفصل الأول "تكـويني"..... 15

المشهد الأول "بفضل التجربة المريرة" 16

المشهد الثاني " التحـرر من الوهـم"..... 34

المشهد الثالث "محطة التعليم ما قبل الجامعي"..... 35

المشهد الرابع "محطة التعليم الجامعي"..... 46

الفصل الثاني "صراع بين الينِّ واليان في شخصية واحدة"..... 63

أقربهم إليك.. نفسُك..... 68

أنا والناس.....73

أنقم الهِبات..... 90

الفصل الثالث "ولنا في الخيال مشاهد!" 93

المشهد الأول "جمـادٍ يشعــر"..... 94

المشهد الثاني "دمــوع كـــــاذبة!"..... 98

المشهد الثالث "عتاب لا أرجو فيه عودة"..... 100

مشهد خيالي إنساني 103

الفصل الرابع " مـــع الله..."..... 111

الفصل الخامس "بالبـــــلدي.."..... 151

الفراغ يعمل أكتر من كدا..... 158

النقاش..... 168

رسالة سلام 172

❋ ❋ ❋